طرابلس الغرب في عهد بني خزرون دراسة في أحوالها السياسية والحضارية (٣٩٠-٥٤٠هـ/١٠٠٠-١١٤٦م)

ا.م.د. فراس سليم حياوي
جامعة بابل/كلية التربية الأساسية/قسم التاريخ

المقدمـة

بنو خزرون أسرة يرجع نسبها إلى قبيلة زناته، والتي حكمت طرابلس مائة وخمسين سنة بدأت بحكم فلفل بن سعيد عام ٣٩١هـ /١٠٠٠م وانتهت بحكم محمد بن خزرون آخر أمرائهم والذي طرد من مدينة طرابلس عام ٥٤٠هـ /١١٤٦م، وكان قد صفا لهم الجو عندما رحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر فاستقلوا بطرابلس وتغلبوا على ما بينهم وبين الفاطميين من صعوبات.

كانت زناته توالي الأمويين بالأندلس ثم انحاز سعيد بن خزر بن فلفول إلى صنهاجة فأكرمه بكين بن زيري غاية الإكرام وولاه طنبة وتوثقت صلته وصلة عشيرته بهم بالمصاهرة، وذلك بالزواج من إحدى بنات سعيد بن خزر وتعاقبت الأحداث في المغرب الأقصى والتي جعلت فلفل يتخوف من نوايا صنهاجة ويحجم عن التعاون مع باديس، ثم قامت الحرب بينه وبين باديس عام ٣٨٩هـ/٩٩٩م وما بعدها فأفلت منه فلفل إلى نواحي قابس، وهناك التفت حوله زناته، وتقدم بجموعه واحتل طرابلس عام ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، وأسس فيها دولة تقلبت حياتها بين مّد وجزر بسبب النزاع مع صنهاجة حتى كانت نهايتها كما ذكرنا عام ٥٤٠هـ/١١٤٦م، وعلى العموم فان هذه الدراسة تّسلط الضوء على تاريخ مدينة طرابلس الغرب في عهد بني خزرون في النواحي السياسية والفكرية والاقتصادية.

عمّدت الدراسة إلى تحليل الروايات ذات الصلة بموضوع البحث ومناقشتها، وَقسمت على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول الحياة السياسية، وركّز المبحث الثاني على الحياة الفكرية، في حين كان المبحث الثالث مهتما بالحياة الاقتصادية، واعتمدنا على جُملة من المصادر التي أمدتنا بمعلومات عن مادة البحث، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير (ت٦٣٠هـ)، وهو كتاب غني عن التعريف في حولياته وسعة مادته، استفدنا منه في رسم صورة عن الحياة السياسية فضلاً عن تنوع معلوماته القيمة لاسيما اعتماده على نصوص تنسب لمؤرخين مغاربة لاعتقاده بأن هؤلاء أعرف ببلادهم عن المغرب، وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبن عذارى المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ)، وهو من الكتب المهمة التي زودت البحث بمعلومات قيمة عن الأحداث السياسية والاقتصادية، لاسيما إن أخباره منقولة من مصادر لم يصل بعضها إلينا مثل مؤلفات الوراق والعذري وابن القطان وابن شرف وغيرها، كما يصرح بذلك، ويحفظ لنا شذرات من تاريخ الرقيق القيرواني (المفقودة)، وغير ذلك مما يطول الكلام عنه، فضلاً عن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لأبن خلدون (ت٨٠٨هـ)، وهو كتاب موسوعي زودنا بمعلومات مهمة عن موضوع البحث إلى جانب ذكره طرق التربية الإسلامية في عهده والتي لا تختلف كثيراً مدة عن مدة موضوع الدراسة رغم الفاصل الزمني الكبير، إلى جانب كتب أخرى منها كتاب معجم البلدان للحموي (ت٦٢٦هـ) الذي استفدنا منه كثيراً في إعطاء صورة واضحة عن المدن المغربية، ولا ننسى رحلة التجاني (ت٧١٧هـ)، التي أغنت الدراسة بمعلومات كثيرة ومتنوعة، هذا فضلاً عن مصادر أخرى كثيرة أغنت البحث أدرجناها في قائمة المصادر.

واعتمدت الدراسة على عدد من المراجع والدراسات الحديثة تأتي في مقدمتها مؤلفات اللبيبين المهمة والتي دعمت الدراسة وسدت الكثير من ثغراتها ومنها كتاب معجم البلدان الليبية وتاريخ الفتح في ليبيا وأعلام ليبيا، وغيرها من مؤلفات الأستاذ الطاهر احمد الزاوي، وفي نفس المعنى كتاب أعلام من طرابلس لعلي مصطفى المصراتي، وكتاب النشأط الثقافي

في ليبيا لأحمد مختار، والمنهل العذب لأحمد النائب الأنصاري، وأخيرا استفدنا كثيراً من كتاب تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد، إذ قدم لنا معلومات قيمة أفادت الدراسة كثيراً، فضلاً عن العديد من الدراسات والدوريات العربية والأجنبية الأخرى التي أدرجناها في قائمة الهوامش والمصادر.

المبحث الأول: الحياة السياسية في طرابلس:

١. تمهيد:

بعد انتقال الدولة الفاطمية من المغرب إلى مصر اخذ الخليفة الفاطمي المعز[١] لدين الله بتنظيم أمور الدولة وإعادة تقسيمها مرة أخرى فاخرج طرابلس وما تبعها من سرت[٢] واجدابية[٣] من ولاية بكين[٤] (٣٦٢-٣٧٣هـ)، وكتب إلى عماله في نواحي المغرب بطاعة بكين، وكون من المناطق التي استثناها من إمارته إمارة جديدة عهد بها إلى أحد من قواد كتامة وهو عبد الله بن يخلف[٥] في محاولة لإرضاء قبائل كتامة[٦]، ويبدو أن المعز قد عمل بالتنظيم الإداري القديم للبلاد فنجده لم يلحق برقة إلى الولاية الكتامية الشرقية بل جعلها تابعة لمصر[٧].

وبعد وفاة المعز لدين الله في ١١ ربيع عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م خلفه ابنه نزار العزيز بالله، لذلك رأى بكين هذا الشيء نهاية لتبعية مصر وبداية الاستقلال بالمغرب، ولهذا كتب إلى الخليفة العزيز يطلب منه أن يضم له طرابلس وإعمالها من سرت واجدابية إلى إمارته في أفريقية، واستجاب له ديوان القاهرة وذلك عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م[٨].

ظلت طرابلس تحت حكم إمارة بكين حتى عام ٣٩٠هـ/١٠٠٠م حين جاءت الفرصة للدولة الفاطمية في استرجاعها مستغلة الأوضاع التي كان يمر بها باديس[٩] نتيجة انقسام بني زيري[٩] وخروج عمومة أبيه عليه، فضلاً عن خروج فلفل بن سعيد الزناتي[١٠] الذي نجح في التحالف مع بعضهم، ويبدو أن الفرصة الحقيقية جاءت عندما اتصل نائبه بطرابلس (تموصلت بن بكار)[٢] بالخليفة الحاكم[٣] (٣٨٦-٤١١هـ) في القاهرة وعرض عليه تسليم طرابلس والالتجاء إليه، فما كان من الحاكم إلا أن أمر يانس[٤] الصقلي واليّه على برقة[٥] بالمسير إلى طرابلس وتسلمها[٦]، ويبدو أن الوالي (تموصلت) لم يقتنع بالتبعية لباديس من جهة، وفضّل الاتصال بالحاكم العام المسؤول على الولاة وهو الأصل وصاحب الكلمة الفصل في كل الأمور دون الرجوع إلى الفرع والتابع وهو باديس من جهة أخرى.

تحرك يأنس الصقلي متوجها إلى طرابلس، ويبدو أن باديس فوجئ بالأمر، وكتب إلى يأنس يطلب منه تفسيراً لما حدث، ولكن يبدو إن يأنس لم يكن مقتنعا في إن ما دفعه إلى الحضور إلى طرابلس لأجل توليها، في حين لم يعر باديس الموضوع اهتماماً ولم يحاول الاستيضاح من الخليفة، وتحرك على الفور لمعالجة الموقف الجديد، وأرسل جيشاً بقيادة جعفر بن حبيب[٧] ليخرج يانساً من طرابلس، ونزل جعفر بقرية أجاس القريبة من طرابلس، وأخذ يفاوض يانساً ووضع له تنفيذ أحد الشروط التالية:

١ . أن يبعث السجل بالولاية أن كان معه سجل (أي مرسوم رسمي بالتعين).

٢ . أن يقدم على باديس للمفاوضة.

٣ . وأما الحرب.

أجابه يانس: ((أما الوصول فلا سبيل اليه وأما سجل الولاية فأنا أكبر من ذلك إذ كنت خليفة أمير المؤمنين على ما هو أعظم من طرابلس وأما الثالثة فأنا أوفيك عن الحركة آلي وأجيئك إلى موضعك أقاتلك به))، ولهذا تطور الموقف إلى القتال بين الطرفين، وبناء على ذلك خرج يانس من مدينة طرابلس إلى منطقة جنزور[٨]، حيث نزل جعفر بن حبيب غربها ونزل يانس شرقها[٩]، واصطدم الطرفان في معركة حامية أنهكت الطرفين انتهت بمقتل الكثير من جند يأنس واخذ هو أسيرا ثم قتل واحتز رأسه وحمل إلى القائد جعفر[١٠] في حين اعتصم أصحابه بقيادة فتوح بن علي في المدينة التي حاصرتها قوات باديس[١١]، ونتيجة لهذه الظروف بادر الخليفة الحاكم إلى إرسال قوة عسكرية مدداً لقوات يأنس بقيادة يحيى بن علي

الأندلسي ومعه القائد زيدان الصقلي مشرفاً على الأمور الإدارية والمالية للحملة[١٢]، ويبدو أن فراغ خزينة برقة من الأموال قد عقّد الموقف لهذه الحملة التي اعتصمت هي الأخرى بأسوار طرابلس وذلك في ربيع الأول عام ٣٩٢هـ/١٠٠٢م[١٣]، وهنا برز رجل من زناته واسمه فلفل بن سعيد، مستغلا الظروف التي جاءت حينها واستطاع إن يتسلل إلى مدينة طرابلس ويحكم سيطرته عليها ومن ثم حكمها هو وخلفاؤه لمدة قرن ونصف من الزمان.

أصرت الخلافة الفاطمية على إثارة القلائل بالأراضي الزيرية إذ أرسلت يحيى بن علي لنجدة فلفل بن سعيد عندما خرج على باديس عام ٣٩٣هـ/١٠٠٣م[١٤] وفي الاتجاه نفسه أراد فلفل استغلال جيش الخلافة الفاطمية كقوة شرعية لدخول أفريقية ولكن هذا الشيء لم يحدث بسبب عدم الانسجام بين القائد الفاطمي زيدان الصقلي وفلفل من جهة وقلة الأموال من جهة أخرى، ومن ثم التقصير الواضح في عطاء الرجال الذين تفرق الكثير منهم، مما دعت بقائد الفاطميين يحيى بن علي إلى العودة إلى مصر وإقناع الحاكم بوجهة نظره[١٥]، وبذلك صارت مدينة طرابلس إلى فلفل بن سعيد، على الرغم من وقوف الزيريين في وجه الدولة الفاطمية التي عملت جاهدة لإبقاء أفريقية طرفاً تابعاً لها من ناحية وبإتباع الشدة في القضاء على أي حركة تهدد أمنها واستقرارها من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه حاولت استقطاب أمراء بني زيري من جديد، ولكن يبدو أن خروج الأمراء الزيريين عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه، إذ يقول المعز لدين الله الفاطمي لعم أبيه عندما أبدى عدم ثقته بتوليه بكين بن زيري المغرب: ((أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداءً هو آخر ما يصير اليه أمر يوسف، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ...))[١٦].

وسوف نستعرض حكام مدينة طرابلس من بني خزرون حسب سني توليهم للحكم لإعطاء صورة واضحة عن حكمهم للمدينة في مدة البحث:

١. فلفل بن سعيد (٣٩٠-٤٠٠هـ/٩٩٩-١٠٠٩م):

استهل فلفل عهده بالاعتراف بالدولة الفاطمية في خطوة لإعطاء الشرعية لحكمه فقبل الخليفة الحاكم بأمر الله طاعته، وقبول الطاعة يعني اعتراف الفاطميين بشرعية حكمه على طرابلس[١٧]، ومع هذا فقد عين يحيى الأندلسي[١٨] حاكماً على طرابلس وقابس[١٩]، ورغم ذلك استقبل فلفل يحيى الأندلسي بالطاعة ورافقه إلى قابس لحصارها وطرد جعفر بن حبيب الذي تحصن بالمدينة، ولم يستطع جيش الدولة الفاطمية من اقتحامها فرجعوا إلى طرابلس سنة ٣٩٣هـ، وهنا بدأت الخلافات بين الطرفيين، إذ حاول فلفل التمسك برأيه وفرضه على يحيى وهو الوالي المّعين من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله، الأمر الذي جعله يرجع إلى مصر[٢٠] في السنة نفسها بعد أن اخذ منه فلفل كثيرا من خيله ورجاله وختم ذلك بسيطرته التامة على المدينة، وفي الوقت نفسه ظلت الحرب مستمرة بين فلفل وباديس، في حين قطعت الدولة الفاطمية المدد عنه[٢١]، وتجاهلت صرخاته المتكررة للنصرة، لأن الخليفة الحاكم وجد أن كلاً من فلفل وباديس يدينان بالطاعة للخلافة الفاطمية ولا يستطيع التحيز لأي منهما (وخاصة فلفل)، لأن التحيز والاتجاه لنصرته يعني خروج المغرب كله من طاعته ويشجع صنهاجة على شق عصا الطاعة يضاف إلى ذلك انشغال الجيوش الفاطمية بثورة أبي ركوة[٢٢] بين (٣٩٥-٣٩٧هـ/١٠٠٤-١٠٠٧م)، فلم يكن في مقدوره أن يساعد جانباً على الآخر[٢٣]، ونتجه لذلك نجد فلفل يتجه إلى حاكم مدينة قرطبة، الذي أرسل له وفدا يحمل فروض الطاعة له، ولكن الدولة الأموية بالأندلس لم تكن في حال يمكنها من أعانته، فقد كان محمد بن هشام الملقب بالمهدي[٢٤] (٣٩٩-٤٠٠هـ/١٨-١٠٩م) رجلاً تحّركه الأهواء فضلاً عن المشاكل المتعددة التي تدق أبواب قرطبة والدولة الأموية وتؤذن بالانهيار، ولكن المهدي تلقى الوفد بالقبول وزودهما بهدية وكتاب أرسله إلى فلفل ولكن الوفد وصل بعد وفاة فلفل عام ٤٠٠هـ[٢٥].

كان هناك نوع من التعاون بين فلفل وبني ماركس بن زيري[٢٦]، فبينما كان فلفل يسيطر على طرابلس ويستوطنها عام ٣٩١هـ/١٠٠١م كان ماركس حليفه يحاول السيطرة على أشير[٢٧]، ولكن تلك المحاولة باءت بالفشل بعد أن قتل ماركس وأولاده[٢٨]، ويظهر أن طموح فلفل في السيطرة على بعض الأراضي في أفريقية كان كبيراً، ولهذا نجده يتجه إلى

التنسيق مع بعض الحركات، فقد قام بمعاونة يحيى بن علي بمحاصرة قابس التي كان على حكمها عطية بن جعفر، ولكن هذه المحاولة انتهت بالفشل الأمر الذي أدى إلى عودة فلفل إلى طرابلس في رجب عام ٣٩٣هـ/١٠٠٣م[٢٩]، وخلال المدة بين عام (٣٩٥-٣٩٧هـ/١٠٠٤-١٠٠٧م) كانت قبائل زناته في إقليم برقة تتحالف مع عرب بني مرة ضد الدولة الفاطمية في القاهرة وتوج ذلك في عام ٣٩٧هـ/١٠٠٧م[٣٠]، وهكذا كانت العلاقة تتأرجح في هذه الحقبة بين الخلافة الفاطمية والنيابة الزيرية ما بين الصعود والهبوط تبعا للظروف ومقتضى الأحوال خلال العقود الأربعة منذ انتقال الخليفة المعز إلى مصر وحتى خلافة الحاكم، إذ بلغت حداً من التدني سمح باستخدام الانتهازية والغدر في سبيل تحقيق مكاسب وفيرة مثل محاولة استعادة ولاية طرابلس وغيرها[٣١].

وهكذا يُعّدُ عهد إمارة فلفل بن سعيد على طرابلس من العهود الجديدة من الاستقلال بالرأي وعدم التبعية لغيرها وحملته عداوته إلى الصنهاجين على أن يستقل بطرابلس وينفرد بها عنهم[٣٢]، حتى توفي من علة وأصابته عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[٣٣].

٢. وروا بن سعيد (٤٠٠-٤٠٦هـ/١٠٠٩-١٠١٥م) :

تم اجتماع زناته على مبايعة أخيه وروا بن سعيد بالإجماع، و لم يمهل باديس وروا لينظم دولته، بل توجه على الفور إلى طرابلس ووصلها في شعبان عام٤٠٠هـ/١٠٠٩م فتلقوه أهلها بشيء من الاهتمام ((فتلقاه أهلها مسرورين، داعين مستبشرين، فضربت له فساطيط الديباج والقباب الجليلة ...))، ولكنه سكن في خيمة نصبت إليه ثم عاد وسكن في قصر فلفل لهبوب عاصفة اقتلعت خيامه، أما وروا فقد أسرع في الدخول بطاعة باديس بعد اخذ الآمان له ولقومه على شرط الرحيل من طرابلس، وذلك لعدم استطاعته في المقاومة، وأعلن رسميا عن تسلم باديس طرابلس، وولى وروا نفزاوة[٣٤]، وجعل لطرابلس والياً من قبله يدعى محمد بن حسن[٣٥].

لم يستمر هذا الوضع طويلاً، بل أعلن وروا العصيان وتوجه إلى جبال دمر وضم بعض الأراضي إلى حوزته، ويبدو أن هذا العمل أزعج أخاه خزرون بن سعيد، الأمر الذي جعله ينفصل عنه ويتجه إلى الأمير باديس بالقيروان[٣٦] عام ٤٠٢هـ/١٠١١م الذي أكرمه وعينه مكان أخيه وروا، وبذلك صارت منطقة الجنوب في نفزاوة لزناتة، ولكن وروا لم ينتظر طويلاً، إذ توجه إلى طرابلس لاحتلالها الشيء الذي أدى إلى لقاء عسكري كبير بينه وبين واليها محمد بن حسن وأدى في النهاية إلى هروب وروا وقتل الكثير من جنده، ونتجه لذلك دعا باديس خزرون بن سعيد معه للمشاركة في حرب وروا، ولكن خزرون خيب أمله بسبب انضمامه إلى أخيه ونسيان ما سبق من أمور وذلك عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م واخذوا للتمهيد للزحف على طرابلس، وكان رد فعل باديس قوية بحجم قوة الاتفاق بين خزرون ووروا فقام بإعدام الرهائن التي كانت بحوزته، وراح ضحية هذا العمل مجموعة كبيرة من الرجال بضمنهم التي وصلت مع أحد الزعماء من جيش وروا لتعلن طاعتها إلى باديس، ولكن انتصار باديس على عمه حماد عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م جاء لينهي تمرد وروا الذي قرر الدخول في طاعة باديس ولكن المنية عاجلته وعاجلت باديس أيضاً في السنة التالية عام ٤٠٦هـ/١٠١٦م، ويبدو أن باديس لم يكن موفقاً في توجيه خزرون لقتال وروا بسبب أن الأخوة لا يرضون من انتصار أمير صنهاجي عليهم هذا من جهة كما عّز على خزرون أن يقاتل أخيه لصالح باديس، في الوقت نفسه كشف لخزرون حاجة الوالي محمد بن حسن إلى المدد وضعف في صفوفه الأمر الذي شجعه الى التحاق بأخيه.

أما العلاقة بين الحاكم بأمر الله وباديس فقد عادت إلى ما كانت عليها عام ٤٠٣هـ /١٠١٢م حين أرسل الحاكم بحرا عن طريق المهدية[٣٧] هدية جليلة إلى باديس وولي عهده المنصور فخرج الاثنان مع أهل القيروان لكي يعودوا بها من موضع قصر الماء في احتفال بديع تتقدمه الطبول، والمهم إن السفارة كانت تحمل وبرضاء الحاكم سجلاً بإضافة ولاية برقة وأعمالها إلى ولاية باديس[٣٨]، وهذا يعني أنها أرادت أن يكون لها حدود مشتركة مع نيابتها الزيرية في أفريقية، وهذا الشيء لم يعمل به المعز حين اقتطع برقة وجعلها تابعة لأعمال مصر[٣٩].

٣. خليفة بن وروا (٤٠٦-٤٢٩هـ/١٠١٥-١٠٣٧م) :

انقسمت الزنانية بعد وفاة وروا على قسمين بايع بعضهم ابنه خليفة وبايع القسم الآخر أخاه خزرون بن سعيد، ويبدو أن للوالي محمد بن حسن دوراً واضحاً في إشعال الفتنة وانقسام الطرفين وانتهت بتفوق الابن على العم.

أما طرابلس فقد كان يحكمها محمد بن حسن منذ عهد باديس، وظل في ولايته حتى عُزِلَ من لدن المعز بن باديس وولى مكانه أخيه عبد الله بن الحسن، الذي دافع عن المدينة ببسالة ووقف بوجه خليفة بن وروا الذي حاول دخول طرابلس بعد أن نقض عهده الذي قطعه لباديس وضيق عليها بحصاره عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م.

تغيرت الأمور بعد مقتل محمد بن الحسن نتيجة غضب المعز عليه[٤٠]عام ٤١٣هـ/١٠٢٢م فقام عبد الله بتسليم طرابلس لخليفة بن وروا[٤١] انتقاما لمقتل أخيه، ويبدو أن سياسة كل من عبد الله ابن الحسن وخليفة بن وروا قد توحدت ضد عدوهما المشترك فعبد الله كان يريد الثأر لأخيه محمد ابن الحسن الذي قتله المعز بن باديس من جهة، بينما كان خليفة يريد الثأر لمقتل الرهائن الذي قتلهم باديس بعد أن تحول خزرون إلى أخيه وروا من جهة أخرى[٤٢].

دخل خليفة طرابلس مبتدأ بقتل حاميتها التي كانت داخلها ونزل قصر عبد الله واستولى على أمواله وحريمه رغم ان عبد الله ساعد خليفة في دخوله طرابلس والسيطرة عليها ويبدو أن ذلك بسبب المقاومة التي أبداها عبد الله أثناء حصاره للمدينة، كما أراد أن يهاجم بأسطول طرابلس بعض أحلاف المعز بن باديس، ووردت تلك الأخبار إلى المعز عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م فحشد في المهدية أسطولاً ووفرّ له الاستعدادات اللازمة وبني قطعاً حربية في وقت قصير وخرج بها قاصدا طرابلس، وتسكت المصادر بعد ذلك عن ذكر ما تم لهذا الأسطول، ولكن يبدو أن المعز لم يحقق نصرا ملموسا، ولهذا نجد خليفة يتجه للحصول على شرعية ولايته بإرسال الطاعة إلى الخليفة الظاهر بن الحاكم[٤٣] بالقاهرة عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م وتعهد بالمقابل ضمان أمن الطرق، ويبدو أن خليفة حاول تطبيق المثل القائل (ألف صديق ولا عدو واحد) ولهذا نجده يحّسن علاقته مع المعز بن باديس أيضاً وذلك بإرسال أخيه حماد ومعه هدية فتقبلها المعز وكافأه عليها[٤٤].

يُعّدُ وصول خليفة إلى الحكم سلسلة متواصلة حكم بني خزرون في طرابلس بحلقتها الأولى التي كانت قد قطعت سنة ٤٠٣هـ باستسلام وروا وتعين محمد بن الحسن على ولاية طرابلس، ولابد من الإشارة إلى أن عهد وروا شهد عام ٤٠٧هـ/١٠١٦م انتفاض أهل طرابلس على المذهب الشيعي، حالهم بذلك حال أهل أفريقية، وقاموا بالتنكيل بالشيعة الموجدين معهم، وكان قائد هذه الحركة في المدينة الفقيه أبو الحسن بن المنمر[٤٥] الذي قام برفع عبارة (حي على خير العمل) من الأذان ورد ما طمره العبيديون من معالم أهل السنّة[٤٦].

٤. سعيد بن خزرون (٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

بعد أن تم الاتفاق على إمارة خليفة بن وروا لقومه غادر خزرون بن سعيد إلى مصر وعاش في كنف الخلافة، ونشأ أبناؤه المنتصر وسعيد في مصر، ولكن الأمور قد تغيرت بسبب الاضطرابات بين الترك والمغاربة، فانتصر الأتراك واجلوا المغاربة عن مصر، فاتجه كل من المنتصر وسعيد إلى نواحي طرابلس وكان يحكمها ابن عمهم خليفة بن وروا، واخذوا بجمع الأنصار حتى اجتمع لديهم العدد الكبير الذي شكلوا بهم قوة كبيرة استطاعوا من مهاجمة مدينة طرابلس، وإجبار خليفة بن وروا على ترك المدينة لعدم مقدرته من مقاومة القوة المهاجمة، ليدخلها سعيد ويحكمها حتى مقتله[٤٧] عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م[٤٨].

٥. خزرون بن خليفة (٤٢٩-٤٣٠هـ/١٠٣٧-١٠٣٨م):

كانت مدينة طرابلس تحّكم من قبل مجلس شورى يرأسه أبو الحسن بن المنتصر[٤٩] عند مقتل سعيد، ويبدو أن أبا الحسن كان له دور كبير في تسليم المدينة إلى خزرون بن خليفة عام ٤٣٠هـ /١٠٣٨م، ولهذا نجد المنتصر يعاقبه على عمله بنفيه خارج طرابلس كما سنرى[٥٠].

٦. المنتصر بن خزرون (٤٣٠-٤٦٠هـ/١٠٣٨-١٠٦٧م) :

لم يدم حكم خزرون بن خليفة طويلا وذلك لاستيلاء المنتصر بن خزرون على السلطة وباشر بتولي زمام حكم طرابلس عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، الأمر الذي أدى إلى هروب خزرون بن خليفة خفية[٥١] في الوقت نفسه نفي أبو الحسن إلى قرية غنيمة[٥٢] عقوبة له لتسليمه المدينة إلى خزرون بعد وفاة أخيه كما نكل بكثير من أنصاره.

المنتصر هو أحد أبناء خزرون الثلاثة الذي اتجه إلى أفريقية مع أخيه سعيد، وفي أيامه جدد المعز بن باديس محاولته لأخذ طرابلس، فهاجمها عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، فبرزت إليه زناتة وهزمته، وكانت أخته أم العلو بنت باديس من ضمن الأسرى غير أن المنتصر أطلقها وردها إلى أخيها، ويبدو أن المعز كان مصمماً على النصر لأنه كرر هجومه للمرة الثانية ثم الثالثة وكان النصر حليفه هذه المرة وأذعنت زناتة لسلطانه واتقته بالمهادنة، وهدأت الأمور من حول المنتصر، وتخللت أيام المسالمة بين الطرفين أهدى المعز هدايا كثيرة وأعطاه مائة ألف دينار دفعة واحدة[٥٣].

الحدث المهم في حكم المنتصر هو انفصال المعز بن باديس نهائيا عن الدولة الفاطمية وذلك عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م فقطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وحرق أعلامه الخضراء، وأخذ يدعو للخليفة العباسي القائم بأمر الله وبدوره الأخير بعث للمعز الخلعة والتقليد والألوية السوداء العباسية عن طريق القسطنطية، ويبدو أن أمير أفريقية اتخذ هذا الأجراء كوسيلة للاستقلال ببلاده لبعد المسافة بينه وبين العباسيين ببغداد[٥٤].

كان رد فعل الدولة الفاطمية نحو الدولة الزيرية بتحريض وإثارة القبائل وضرب بعضها بالبعض الآخر، فالقبائل العربية المقيمة على حدود مصر الشرقية بالوجه القبلي مثل بني هلال وسليم[٥٥] وعلى حدودها الغربية بالوجه البحري مثل زغبه ورياح كانت دائبة في إثارة الشغب والفساد في الديار المصرية، ولهذا وجد اليازوري[٥٦] وزير الخليفة المنتصر أن يضرب عصفورين بحجر واحد يتخلص من فساد القبائل وينتقم من الزيرين، وبعث بهذا المعنى إلى المعز بن باديس يقول له: ((أما بعد فقد أرسلت إليكم خيولاً فحولاً وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولا))[٥٧] فاجتاحت القبائل العربية بلاد برقة وطرابلس وأفريقية وحدثت معركة كبيرة بين الطرفين سميت بيوم العيون[٥٨] قرب القيروان وانتهت بهزيمة المعز واستيلاء العرب على القيروان وتخريبها عام ٤٤٩هـ وفي ذلك يقول الشاعر:

وان ابن باديس لأفضل مالك ولكن لعمري ما لديه رجال

ثلاثون آلفا" منهم غلبتهم ثلاث آلاف إلى ذا المحال[٥٩]

نتيجة لأحداث السابقة الذكر فقد اكتفى المنتصر بحكم طرابلس تاركا ما حولها إلى زغبه، وذلك لعدم قدرته على المواجهة، ثم جاءت سليم فدفعت زغبه عن ضواحي طرابلس واستقرت هي بها، ورأى المنتصر أن من مصلحته محالفة القبائل ومشاركتها في حركاتها العسكرية، فقد شاركهم في غزو مملكة بني حماد[٦٠] وهاجم المسيلة وأشير ولكن ناصر بن حماد استطاع أن يهزمه ففر إلى أشير وتحصن بها، ويبدو ناصر بن حماد كاتب المنتصر بالمصالحة واقطعه الزاب وريغة وهي حيلة استخدمها ناصر للقضاء على المنتصر لأنه بعد مدة يتفق مع أحد حلفائه على قتله فقتل غيلة عام ٤٦٠هـ/١٠٦٩م[٦١].

٧. خلفاء بني خزرون للمدة (٤٦٠-٥٤٠هـ/١٠٦٧-١١٤٥م):

تلبس الغموض أحوال بني خزرون بعد مقتل المنتصر بن خزرون، ويبدو إن الاضطرابات التي مرت بها المنطقة ومنها مدينة طرابلس لعبت دوراً واضحاً في سير الأمور لدرجة إن ابن خلدون عند حديثه عن من جاء بعد المنتصر يقول: ((وولي طرابلس واحد من قومه بني خزرون لم يحضرني اسمه...))[٦٢]، نستنتج من هذا إن طرابلس حكمها أكثر من شخص بعد المنتصر ، ومن خلال الروايات التي بين أيدينا يمكن استيضاح الحقيقة التي مفادها إن خليفة بن خزرون قد حكم طرابلس أكثر من مرة للمدة من (٤٦٠-٤٨٨هـ/١٠٦٧-١٠٩٥م) بدأت المدة الأولى من حكمه عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م

وانتهت بعام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٦٣] أو ٤٧٥هـ/١٠٨٢م[٦٤] على اختلاف الروايات، ثم تستلم بعد ذلك خليفة بن خزرون حكم طرابلس حتى عام ٤٨٨هـ/١٠٦٧م، ويبدو إن خليفة قد أساء التعامل مع أهل طرابلس وعاملهم بقسوة ولهذا استاؤوا منه وصاروا يتربصون به[٦٥] هذا من ناحية، كما إن كلاً من زناته وصنهاجة قد أنهكتهما الحروب فيما بينهما بين القبائل الأخرى القادمة من المشرق[٦٦]، من ناحية أخرى، قد جعل تذبذب حكم أسرة بني خزرون لطرابلس مما فتح الطريق أمام تميم بن المعز الصنهاجي (٤٥٤-٥٠١هـ/١٠٦٢-١١٠٧م) ليعين ولده مقلداً واليا على طرابلس[٦٧]، مما يدل على أن المدينة عادت لصنهاجة، ويظهر ذلك بسب التنازع بين القبيلتين من جهة، وسيرة خليفة بن خزرون غير الجيدة من جهة أخرى، وتذكر المصادر إن خليفة ابن خزرون قد حكم طرابلس إلى عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م مرة ثانية دون أن تحدد تاريخياً معيناً لحكم مقلد بن تميم، ولا مدة عودة خليفة بن خزرون للحكم، ومع هذا ظل خليفة بسيرته نفسها لأن أهل المدينة اخذوا يتطلعون نحو تغيره.

كانت ظروف طرابلس مواتية لاستقبال مغامر تركي يدعى شاه ملك جاء من جهة الشرق واستقر هو وإتباعه بمصر في عهد الأفضل بن بدر الجمالي[٦٨]، فأكرمه واقطعه أرضا ومنحه أموالاً، ولكنه بعد مدة ارتكب أمورا أغضبت الأفضل وأوجبت خروجه وإتباعه من مصر، فخرج شاه ملك وأتباعه واتجه إلى أفريقية[٦٩]، ولما وصلوا طرابلس، كان الوقت مناسباً لتغير حاكمها بسبب ما قام به من إعمال أساء خلالها لأهل المنطقة، وعند ذلك تمكن ((شاه ملك إن يتصل ببعض الأهالي واتفق معهم على مهاجمة المدينة ووعدوه بفتح أبوابها، وتم ذلك ولم يجد شاه ملك عناء في التغلب على المدينة فدخلها وفر خليفة بن خزرون))[٧٠]، ولكن حكمه لم يستمر طويلاً بسبب تحرك تميم بن المعز الصنهاجي عند سماعه تلك الإخبار، وأرسل على الفور جيشاً إلى طرابلس وأجبر أهلها على فتح الأبواب ودخلها وأسر ملك شاه وأصحابه وأخذوه إلى المهدية.

تولى حكم طرابلس بعد شاه ملك محمد بن خزرون الذي لم تسعفنا المصادر عن أعماله سوى أنه قرّب بني مطروح وهي أسرة من أهالي طرابلس، وظل محمد في الحكم إلى عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وخلال ذلك أخذ نفوذ بني زيري بالاضمحلال، بينما كان نجم بني مطروح بالصعود، ويبدو أن لها الكلمة الأولى في البلاد، إذ تمكنت في النهاية من طرد بني خزرون من حكم طرابلس وتسلمت هي مقاليد الحكم[٧١]، وتشتت قسم من أسرة بني خزرون في طرابلس الغرب في حين لجأ أحدهم وهو عبد الصمد بن محمد بن خزرون إلى جبال أوراس بالجزائر[٧٢]، وخلاصة القول لقد لعبت أسرة آل خزرون دورا في تاريخ طرابلس من خلال حكمها للمدينة وتوابعها للمدة (٣٩٠-٥٤٠هـ)، إذ حاول مؤسسها من نهج أسلوب الانفراد والاستقلال بالحكم وأثر ذلك في حدوث صراعات كثيرة، فكان رد فعل الدولة الفاطمية في أثارة القبائل وضرب بعضها بالبعض الآخر، ولهذا وجهوا القبائل المقيمة على حدود مصر لينتقموا من خصومهم، وعلى العموم تعرضت طرابلس في السنوات الأخيرة من حكم آل خزرون، إلى نوع من الاضمحلال، هيأت الطريق لبني مطروح لاستلام الحكم.

المبحث الثاني: الحركة الفكرية في عهد بني خزرون:

أولا: المؤسسات التعليمة في طرابلس:

١. **المساجد:**

يُعّدُ المسجد من المراكز المهمة في كل مدينة من مدن العالم الإسلامي، لأنه ملتقى المسلمين وموضع الصلاة والنواة التي يرتكز عليها المجتمع الإسلامي لترسيخ تعاليمه وهو كذلك مركز مهم من مراكز الحركة الفكرية ومثابة لتلقي العلوم والمعارف الإسلامية، حتى عُدَّ أفضل مكان للتدريس، فالمسجد يسمح للجميع الدخول إليه بخلاف المنزل الذي يكون مقتصرا على من أبيح له الدخول[٧٣]، وكان الطلبة يحضرون حلقات العلم ودروس الأساتذة التي تلقى في هذه المساجد.

كانت المساجد منتشرة في المنطقة، ولم تخلّ مدينة أو قرية من مسجد أو أكثر، وذكر التجاني مساجد مدينة طرابلس بقوله: ((ومساجد البلد لا تحصى كثره،وهي تكاد تناهز الدور عدة))[٧٤]، واستكمل قوله: ((وبخارج البلد مساجد كثيرة مشهورة بالفضل))[٧٥]، ولم يكتف بذلك بل ذكر ساحل البحر من طرابلس إلى جنزور وما فيه من مساجد بقوله: ((وعلى هذا الساحل مساجد كثيرة))[٧٦]، وسوف نذكر بعض مساجد طرابلس وهي:

١. المسجد الجامع: وهو الجامع الذي بناه عمرو بن العاص في طرابلس أمام باب[٧٧] هوارة[٧٨].
٢. مسجد الشعاب المنسوب إلى محمد بن عبد الله الشعاب[٧٩]، الذي أكمل بناءه وسكن فيه[٨٠]، وكان في أوائل القرن الثالث الهجري[٨١].
٣. جامع طرابلس الأعظم وهو جامع متسع بني في الجهة الغربية سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م[٨٢].
٤. جامع الناقة بناه المعز لدين الله الفاطمي، إذ يحكى عند مرور الخليفة المعز بطرابلس سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م متوجها إلى مصر، أهدى أهل المدينة ناقة محملة بالذهب، فبنوا بهذه الأموال هذا الجامع فسمي جامع الناقة[٨٣]
٥. مسجد أبو مسلم مؤمن بن فرج الهواري، ويبدو أن أبا مسلم كان إماماً ومعلماً لهذا الجامع، ونسب إليه، إذ كان يدرس القرآن الكريم ويفّصل الآيات، إلى وفاته بالمدينة عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م[٨٤].
٦. مسجد العشرة وكان في رحبة مدينة طرابلس، وسمي بذلك لأن عشرة من أعيانها كانوا يحتمون فيه للتشاور فيما بينهم من شؤون[٨٥].
٧. المسجد الجامع الذي بناه عمرو بن العاص بجنزور[٨٦].
٨. مسجد خطاب بخارج مدينة طرابلس من جهتها الشرقية على البحر[٨٧].
٩. مسجد الجدة [٨٨] كما سمي بأسماء أخرى[٨٩]، ويقع خارج طرابلس[٩٠].

٢. المدارس:

اتصلت المدارس بالمساجد، والهدف منها تعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة والعربية وتحفيظ القرآن الكريم والحديث الشريف[٩١]، فضلاً عن تدريس علوم القرآن وأصوله والفقه وغيرها من العلوم، ويبدو أن المدارس في طرابلس كانت كثيرة لكثرة المساجد في المدينة، وذكر التجاني في هذا المعنى بقوله: ((بداخل البلد مدارس كثيرة...))[٩٢]، ورغم كثرة المدارس فان المدرسة المنتصرية[٩٣] كانت هي الأبرز من بين المدارس، لدرجة إن التجاني وصفها بقوله: ((وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأظرفها صنعاً))[٩٤] ، ويبدو أن منهجها التعليمي يقوم على تعليم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ العربية، وكذلك تحفيظهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتعليمهم مبادئ الشريعة الإسلامية.

وكانت هناك مدارس خاصة لتعليم البنات، تحتوي على قسم داخلي للفتيات اللواتي يسكنّ المناطق البعيدة، في حين يوجد قسم خاص لتعليم الفتيات اللواتي يسكنن مناطق قريبة إذ يرجعن إلى مساكنهن بعد تلقي العلم في هذه المدرسة أو تلك، ويبدو إن القسم الأول من هذه المدرسة هو ما نسميه اليوم بالمدرسة الداخلية إلى تدرس وتسكن فيها الطالبة، ووجدت مدارس مختلطة لكلا الجنسين[٩٥]، وكانت المرأة[٩٦] تقطع المسافات لتحضر محاضرات الأساتذة[٩٧]، ويبدو إن هذه المدارس كانت في المناطق القليلة السكان أو البعيدة عن المدينة والتي يتعذر أن توجد مدرسة لكل جنس.

٣. المكتبات وخزائن الكتب:

أنشأت المكتبات بصورة مستقلة والغرض منها تسهيل مهمة المطالعة والاستنساخ، وتيسيرها للراغبين في العلم، ولاسيما غير القادرين على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها، لذلك سارع الأغنياء والعلماء والأمراء الى تأسيس دور عامة للكتب (المكتبات)، فكانت هذه معاهد للدرس والترجمة والتأليف وهي أكبر من خزائن الكتب، أما خزائن الكتب فالمقصود بها خزائن الكتب الشخصية وهي بدورها لا تقل أهمية عن دور العلم إذ كانت من مراكز المعرفة المهمة التي شهدت العالم الإسلامي في عموم إرجائه [٩٨]، واحتوت طرابلس وما تبعها من مناطق على عدد من الخزائن المملوءة بالكتب النفيسة،

واستفاد أهلها من خزائن جبل نفوسة[٩٩] التي احتوت مئات الكتب القيمة، وأهم تلك الخزائن (خزانة نفوسة)[١٠٠]، فضلاً عن خزائن كتب بعض المدارس كانت تضم مجلدات كثيرة ويتولى أمرها مشرفين، الى جانب خزائن كتب الشيوخ والعلماء فيها، وتعد حوانيت الوراقين من الأماكن الأخرى في نفس المعنى والتي أسهمت في حركة التعليم والثقافة بطرابلس الغرب في المدة التي نحن بصددها، ولم تكن مجرد أماكن لنسخ وبيع الكتب حسب، بل كان الكثير من أصحابها ذي علم وثقافة، وأثر ذلك في معرفتهم بأنواع الكتب وأسعارها، فكانوا ينسخون الكتب ويجلدونها ويعرضونها للبيع، ولا ننسى أن حوانيتهم كانت مجمعا للعلماء والأدباء وطلبة العلم ومحبي الكتب إذ يكون هناك نقاش ومحاورة ومذاكرة، وهي شأنها شأن المدن الإسلامية الأخرى، وليس هذا فحسب بل استفاد أهل طرابلس من خزائن المناطق المجاورة[١٠١].

٤. حلقات الأساتذة الزائرين:

كان هناك حلقات دراسية للأساتذة الزائرين طرابلس وغيرها من المناطق التابعة لها، إذ يتم تبادل الأفكار والمعلومات فيما بينهم ويتم ذلك، أما عند ذهابهم اوعودتهم إلى المغرب بعد أداء فريضة الحج في مكة المكرمة، أو عند مرورهم في طرابلس لإغراض أخرى، إذ يتم عقد حلقات علمية ونقاشية، ومن هؤلاء محمد بن عيسى الذي مر بطرابلس في القرن الرابع الهجري[١٠٢] وأخذ عنه طلاب العلم الشيء الكثير [١٠٣]، وكذلك الفقيه أبو الحسن محمد بن إبراهيم الأندلسي[١٠٤] الذي زار طرابلس إثناء قدومه لتأديت فريضة الحج، وعقد حلقات علمية أفاد منها طلاب العلم في طرابلس في مجال الفقه وعلوم القرآن.

ويبدو إن كثرة مرور الأساتذة بطرابلس ومدن المنطقة الأخرى قد عوّض أهلها من عناء السفر في طلب العلم حتى قال أحدهم: ((إن طرابلس كانت تعتمد في ثقافتها على من يفد عليها من الحجاج وطلاب العلم مشرقيين أو مغربين وعلى من يصطحبهم أمراء أفريقية في طريقهم إلى الحج من أهل العلم والفضل))[١٠٥]، ومع تحفظنا على هذا الكلام لما فيه من مبالغه حول دور هؤلاء المارين بالمدينة فإننا نجد من نبغ بينهم دون أن نعرف له رحلة مثل عبد العزيز بن عبد العظيم وأبي إسحاق إسماعيل وغيرهم.

ثانيا: ازدهار العلوم في طرابلس:

كان النتاج الثقافي في الحقبة التي نحن بصددها يدور حول الدراسات العربية الإسلامية، وكان من النادر أن نجد اهتماماً بأية دراسة أخرى تخرج عن هذا المجال، وعليه سوف نتناول من كل فقرة أهم الانجازات التي تمت خلال المدة موضوع الدراسة وأبرز الإعلام في كل تخصص وسنحاول في الوقت نفسه أن نلتزم التسلسل التاريخي ما أمكن حتى تتضح الصورة.

أولا: العلوم الدينية:

لعبت طرابلس والمناطق التابعة لها دوراً مهماً في مجال العلوم الإسلامية، من خلال المشاركة في الإفتاء أو إبداء الرأي في مسائل معينة أو بتقلد المناصب المهمة في المناطق المجاورة نظرا لكفاءتهم، كما لم تقل مجهوداتها عن مجهودات أي بلد من البلاد العربية الأخرى.

بدأ الاهتمام بالعلوم الإسلامية مع دخول الإسلام، وانتشاره التاريخي في المنطقة وأول مظاهر الاهتمام جاء بعد تحرير الأراضي العربية وذلك من أجل نشر الإسلام وتفقيه الناس بالدين الإسلامي، لاسيما أن جيوش التحرير في المغرب كان تزخر بكبار الصحابة الذين خرجوا مجاهدين في سبيل الله، ناشرين دينه وشارحين للناس تعاليمه، وتجسد هذا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) الذي بعث بعشره من كبار التابعيين يعلمون الناس دينهم ويشرحون تعاليمه[١٠٦].

كان لموقع طرابلس المتوسط بين الشرق والغرب وكثرة مرور العلماء بها مشرقيين ومغربيين الأثر الواضح في فرصة لقاء الطرابلسيين بالعلماء المارين ومن أشهر هؤلاء العلماء الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي[١٠٧] الذي نُشر مذهب الإمام مالك على يده بالمغرب، حيث سكن طرابلس مدة، ومارس التدريس فيها وكان شديد الإعجاب بطلبته لأنهم على درجة من الكفاءة لدرجة أنه قال على سكان المنطقة: ((كان بأفريقية رجال عدول بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس...))[١٠٨] وذكر من فضلهم وما رأى منهم ((لو قرنوا إلى مالك بن دينار[١٠٩] لساووه))[١١٠] وسأل سحنون لما رجع من أفريقية عن الصالحين فقال: ((رأيت بطرابلس رجالاً ما الفضيل بن عياض[١١١] أفضل منهم))[١١٢].

وكان لانتشار المذاهب الفقهية والكلامية أثرٌ واضحٌ على الحركة الدينية في عموم ليبيا، فقد اشتهر مذهب الخوارج والأباضية والمعتزلة إلى جانب مذهب أهل السنة ثم الشيعة الذي قوي نفوذهم مع قيام الدولة الفاطمية، وكانت حرية البحث والنقاش مكفولة في أحيان كثيرة لأصحاب هذه المذاهب كلُ يدافع عن مذهبه، وكان الحكام يشجعون مثل هذه المناقشات ويحضرونها بأنفسهم بل يشاركون فيها، وربما يتعصبون لفريق دون أخر.

وسنستعرض العلوم الدينية بطرابلس في حقبة البحث وهي:

١. القراءات:

القراءة هي ((مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخلفا به غيره في نطق القرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة ي نطق الحروف أم في نطق هيئاتها))[١١٣]، أما السيوطي فقد عرفه بأنه ((اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرها))[١١٤]، وعرفه حاجي خليفة بأنه ((علم يبحث به عن صور كلام الله تعالى من الاختلافات المتواترة))[١١٥]، وعرفه التهانوي بأنه ((علم يبحث به عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وموضوعه القرآن من حيث انه يقرا))[١١٦]، وموضوعه البحث في كلمات القرآن من حيث أحوالها كالمد والقصر والنقل، وهذا مستمد من السنة والإجماع والهدف منه صيانة القرآن من التحريف والتغير فالعلماء يستنبطون كم حرفاً يقرا به القارئ معنى لا يوجد في قراءة آخر فالقراءة حجة في استنباط الإحكام[١١٧]، وبرز في طرابلس عدد من القراء منهم أبو الحسن علي الطرابلسي[١١٨] الذي ارتحل إلى مكة وانضم إلى حلقات الفكر والأدب ودرس على يد شيوخها[١١٩]، وكذلك أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي[١٢٠] الذي رحل إلى كل من المشرق والغرب وقرا على أهل العلم والقرآن والفرائض[١٢١]، وكذلك الحال بالنسبة لأبي جعفر احمد بن عبد الله بن محمد بن خالد الذي ارتحل من المشرق إلى طرابلس[١٢٢]، هذا فضلاً عن دراسة طلبة أهل طرابلس على يد العلماء والشيوخ الزائرين لها من المشرق والمغرب، ولهذا تعددت مواد القراءات لديهم ما بين علماء المشرق والمغرب.

٢. الحديث:

الحديث لغة بمعنى الجديد الذي يصدر عن المتكلم[١٢٣]، سواء كان هذا الكلام قليل أو كثير[١٢٤]، أما الاصطلاح فهو كل ((ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة))[١٢٥]وعرفه السيوطي بأنه العلم الذي ((يشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير الفظاها))[١٢٦].

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بأخذ حديث الرسولﷺ: ((وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب))[١٢٧]، لذا أولى الحديث النبوي عناية خاصة فهو ((من أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خلفاً عن سلف لأي شرف بينهم احد بعد حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى إلا بقدر ما يحفظ منه))[١٢٨]، ويعود تدوين الحديث إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)، فكان الصحابة وتابعوهم يحفظون الحديث ي قلوبهم، لأن الرسول ﷺ نهى عن تدوين الحديث ((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه فحدثوا عني فلا حرج))[١٢٩]، خشية اختلاطه

بالقرآن الكريم، ولكن بعد انتشار الإسلام في مناطق مختلفة من العالم وتفرق الصحابة في تلك الأمصار ووفاة الكثير منهم وقل الضبط، لذا دعت الحاجة إلى تدوين الحديث[١٣٠]، ومن أبرز علماء الحديث في مدة الدراسة:

١- أبو الحسن علي بن احمد بن زكريا بن الخطيب[١٣١] المعروف بابن زكرون الطرابلسي (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م):

كان فقيهاً محدثاً ناسكاً زاهداً، انتفع به أهل طرابلس في الفقه والحديث، وصحب جماعة من النساك، له كتب كثيرة في الفقه والشروط والفرائض، أقام خمسين سنه لم يحلف بالله لا صدقاً ولا كذباً وكان يسكن بمسجد المجاز[١٣٢] بمدينة طرابلس[١٣٣].

٢- أبو جعفر احمد بن نصر الداودي (ت٤٠٢هـ/١٠١١م):

كان من أئمة المالكية بالمغرب، وأملي بطرابلس كتابه في شرح الموطأ المسمى (بالنامي) وكذلك له (الواعي) في الفقه و(النصيحة) في شرح البخاري والأيضاً ح في الرد على القدرية، وغيرها ومن كتبه التي وصلت إلينا كتاب (الأموال) من أحكام أموال الغنائم والأراضي التي يتغلب عليها المسلمون[١٣٤]، وكذلك كتاب (الأسئلة والأجوبة) في الفقه[١٣٥].

٣- أبو بكر محمد بن مؤمن بن[١٣٦] محمد بن مؤمن الكندي البرقي النحوي:-

رجلاً صالحاً كتب في الحديث والنحو، توفي في ربيع الأول سنة٣٥١هـ/٩٦٢م[١٣٧]، عن عمر يقارب الثمانين.

٣. الفقه:

علم الفقه ((معرفة إحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنّة وما نصبه الشارع))[١٣٨]، وعرفه حاجي خليفة بأنه ((علم باحث عن الإحكام الشرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية))[١٣٩]، وأما أصول الفقه فهو النظر في الأدلة الشرعية إذ تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول الأدلة الشرعية هي القرآن والسنّة[١٤٠]، ويسمى علم الفقه وأصوله بعلم الدراية[١٤١]، ومن أبرز الفقهاء في هذه المدة:

١- أبو عثمان سعيد خلفون الحشاتي[١٤٢] (ت ٣٦٢ هـ/٩٧٢م):

كان رجلاً عابداً ورعاً زاهداً من أكابر الصوفية، اجتمع بكثير من الأولياء وأخذ منهم وكان يسكن في المسجد المنسوب إليه[١٤٣] في طرابلس، وله كثير من الكرامات ولهذا لقبه الناس (بالمستجاب)[١٤٤].

٢- سمدونه:

امرأة كبيرة وصالحة كانت تسكن مسجد الشعاب[١٤٥]، وهي معاصرة لأبي عثمان السابق الذكر، واشتهرت كثيراً[١٤٦] لدرجة انه احد الفضلاًء عندما زار طرابلس قال: ((رأيت في طرابلس رجلاً وامرأة أما الرجل فأبو عثمان سعيد الحشاني وأما المرأة فسمدونه ما الفضيل بن عياض بأفضل مهما))[١٤٧].

٣- أبو نزار خطاب البرقي (ت ٣٧٣هـ/٩٨٣م):

كان يسكن الجامع الذي بخارج المدينة من الجهة الشرقية على البحر، وكانت له عدة كرامات، وغلُبت علية النزعة الصوفية[١٤٨].

٤- أبو جعفر احمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد بن عبد الرحمن(ت٣٧٦هـ/٩٨٦م):

وهو من الفقهاء المعروفين ولد في الكوفة ثم سافر مع جده إلى برقة، وبها نشأ إلى إن توفي، وله كتب عدة إلفها في مجالات منها: اختلاف الحديث، بنات النبي ﷺ وأزواجه وتفسير الأحاديث والأحكام وثواب القرآن وطبقات الرجال ومكارم الأخلاق، هذا إلى جانب ديوان شعر ومجموعة من الرسائل اللغوية والأدبية[١٤٩].

٥- أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي(ت ٣٨٣ هـ/٩٩٣م):

وهو من رجال العلم والقرآن والفرائض رحل إلى المشرق والمغرب للدراسة وتلقي العلم، وكانت له حلقة في مؤخرة جامع طرابلس يفتي بها في الناس وتوفي وله من العمر ٨٥ سنة[١٥٠].

٦- أبو جعفر احمد بن خلف الاجدابي (ت ٣٨١هـ/٩٩١م):

تميز بكونه ذا فقهٍ بارع وأسلوب مثير في النقاش والجدال، وكان كريم النفس دمث الخلق محبوباً من الناس كافة[١٥١].

٧- أبو الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي [١٥٢](٤٣٢هـ/١٠٤٠م):

قال عنه التجاني: ((الشيخ الفقيه المشهور بفضله وعلمه ورياسته))[١٥٣]، ولد بطرابلس سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م، وتتلمذ على يد عدد من شيوخ طرابلس ثم رحل سنه ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م إلى مكة لحضور حلقات أهل الفكر والأدب، والتقى بالشاعر احمد بن رزيق البغدادي، وفيه يقول التجاني: ((من قرأ لابن عمرو وحفظ قصيدة ابن رزيق فقد استكمل الظرف))[١٥٤]، وهو أول من اظهر السّنة بطرابلس بعد الوقعة الشهيرة بوقعة المشارقة سنه ٤٠٧هـ/١٠١٦م، وأمر بقطع (حي على خير العمل) من الأذان، وكذلك هو أول من أقام بطرابلس صلاة القيام وأول من صلى الضحى جهراً ولم يكن احد من الفاطميين يصليها ألا متخفياً[١٥٥].

تعرض أبو الحسن في أخر أيامه إلى بعض الضغوط لاشتراكه في خلافات سياسية بين بني خزرون وكان مصيره النفي من البلد واستباحة أملاكه وشمل الأذى عدد من أقاربه، الأمر الذي دفعه إلى ترك طرابلس سنه ٤٣٠هـ/١٠٣٨م وتوجه للسكن في قرية من قرى مسلاته تدعى غنيمة أو غانمية وظل بها إلى وفاته سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[١٥٦]، ترك مجموعة من الكتب منها كتاب (الكافي في الفرائض)[١٥٧] والذي يعّد عمدة في فنه ومرجعاً في بابه[١٥٨].

٨- أبو خزر النفوسي:

عالم فاضل، استطاع إن يكسب حب الخليفة الفاطمي أبي تميم معد واحترامه وتقديره الذي كان من المقربين له في مجلسه وكان يفخر به، وفي هذا المعنى ذكر الشماخي: ((خرج أبو خزر مع أبي تميم حين غادر القيروان لفتح مصر سنه ٣٦٢هـ وسمع أهل مصر بأن أبا تميم أتاهم بعالم المغرب فاجتمع فقهاؤها على امتحانه وهابوه ... ولما ولىَ أبو تميم أبيه فرط في حق الشيخ ... فقدم معتزلي يطلب المناظرة فأفحم فقهاء مصر فشق عليهم ذلك وشكوا أمره إلى السلطان، فاستشار أصحابه في أمر المعتزلي فقال له ذوو السن، عليك بأبي خزر عالم المغرب الذي قدم به أبوك يكفيه فأرسل إلى أبي خزر كي يخرج لمناظرة المعتزلي ... فخرج وناظره فغلبه))[١٥٩].

٩- مالك بن سعيد القرافي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

تولى منصب القضاء في طرابلس، ثم عينه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على قضاء مصر وذلك سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وبعد خدمة جليلة ومرضية طلب منه الخليفة سب الصحابة على أبواب المساجد فأبى وكتب: ((لقد تاب الله على النبي والمهاجرين ...))، الأمر الذي أدى إلى غضب الخليفة الفاطمي عليه، واصدر أوامره بضرب عنقه سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، وكان رحمه الله محموداً في ولايته، عفيفاً في أموال الناس لا يخاف في الله لومة لائم[١٦٠].

ثانيا: اللغة العربية وآدابها:

١. اللغة والنحو:

عرفها حاجي خليفة بأنها ((العلوم التي يحترز العرب من الخطأ في كلامهم لفظا وكتابة))[١٦١]، وتسمى بعلوم اللسان العربي وتتكون من أربعة أقسام هي اللغة والنحو والبيان والأدب[١٦٢]، أما اللغة فهي ((عبارة المتكلم عن مقصوده وهي فعل لساني))[١٦٣]، وأما النحو فهو ((علم بقوانين يعرف بها أحوال التركيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها وقيل النحو يعرف بها أحوال التركيب العربية من الإعراب والبناء يعرف بها صحة كلام وفساده))[١٦٤]، إذ به ((يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة))[١٦٥]، أما البيان فهو ((عبارة عن إظهار المتكلم

المراد للسامع من كلامه))[١٦٦]، وكان الإسلام باعثاً قوياً على اهتمام العرب بلغتهم وإيجاد القواعد لها، فبعد انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتوسع الفتوحات الإسلامية واختلاطهم بأقوام أخرى كثر اللحن في لغة العرب ومن أجل المحافظة على ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف من اللحن عملوا على إيجاد تلك القواعد لحماية اللغة من اللحن والمحافظة على القرآن الكريم والحديث الشريف من ذلك[١٦٧].

لم تلق الدراسات اللغوية الاهتمام نفسه الذي حظيت به الدراسات الإسلامية نظراً للحافز الشخصي وعامل التقرب إلى الله وعنصر التضحية بالجهاد والمال.

والدراسات اللغوية إلى جانب هذا دراسات شاقة عسيرة تحتاج إلى صبر ومعاناة، ومن ثم لا تجد بين جمهور الناس رواجاً، ولا يمكن إن تغري إلا قلة قليلة من الناس الذي تحملوا صعوبة البحث وجفاف المادة ومشاق الطريق[١٦٨].

لا يمكن الاهتمام بهذه الدراسات مبلغ الاهتمام بالأدب وفنونه، فالأدب من ناحية فن جميل يغري بالدراسة ويدعو إلى الاستزادة وهو يعتمد على الموهبة والذوق، وليس على معاناة البحث ونصب الدرس، وهو في جانب أخر محل اهتمام الحكام والأمراء، أما بصفتهم الرسمية على شكل خطب ورسائل ديوانية وأما بصفتهم الشخصية طمعاً في نيل مدح شاعر أو تسجيل مجد شخصي والشعراء من ناحيتهم يجيدون حين يصادفون تشجيعا وعطفا أذناً صاغية.

بدأت الدراسات اللغوية في المنطقة بداية متواضعة وقام بها أول الأمر مجموعة من اللغويين الوافدين[١٦٩] سواء كانوا متخصصين في الدرس اللغوي، أو في فروع أخرى تخدم الدرس اللغوي مثل الأدب ورواية الإشعار وتفسير القرآن واستغرق تخريج لغويين مواطنين قرابة قرنين من الزمان، ومنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بدأ ظهور لغويين من أبناء البلد تخصصوا في الدرس اللغوي وألفوا فيه.

اهتم رجال العلم في طرابلس باللغة وقواعدها وخصوصا الفقهاء لارتباطها بأمور الدين، ومن أبرزهم:

١- محمد بن سالم الطرابلسي المعروف بالعقعق:-

كان صاحب نحو ولغة وبلاغة وعلم بالجدل ونظر فيه، وكان معتزلياً[١٧٠].

٢- عبد الله بن عبد الله الأندلسي المعروف بالبرقي(ت٣٦٦هـ/٩٧٦م):

وكان عالماً بالنحو واللغة وإماما فيهما، وله مكانه عند الأمراء، ومؤلفات كثيرة[١٧١]، وكان الخليفة الحاكم يوقره ويعظمه.

٣- أبو بكر محمد بن مؤمن بن[١٧٢] محمد بن مؤمن الكندي البرقي النحوي:-

رجلاً صالحاً كتب في الحديث والنحو، توفي في ربيع الأول سنة٣٥١هـ/٩٦٢م[١٧٣]، عن عمر يقارب الثمانين.

٤. أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن احمد بن عبد الله اللواتي[١٧٤] الاجدابي[١٧٥] :

من أعلام القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ولد في طرابلس وعاش بها ولهذا عرف بالطرابلسي، ومع شهرته وكثرة المؤلفات التي تركها[١٧٦]، إلا إن المصادر لم تسعفنا بمعلومات كافية عن نشأته، وصفه القفطي بقوله: ((من أهل اللغة وممن تصدر في بلده واشتهر بالعلم ... وكانت له يد جيدة في اللغة وتحقيقها وإفادتها))[١٧٧]، في حين وصفه التجاني بقوله: ((وكان الفقيه أبو إسحاق هذا من اعلم زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً))[١٧٨]، وألف ابن الاجدابي في فروع متنوعة من العلم[١٧٩].

٥- أبو الحسن على بن نصر بن سليمان البرنيقي[١٨٠] نزيل مصر:-

كان لغوياً فاضلاً، كتب بخطه الكثير، وكان الناس يتنافسون في خطه وتحصيله، واستمر حتى زمن القفطي، والذي قال فيه: ((لقد رأيت نسخة بخطه من الجمهرة لابن دريد، وبيعت بأربعة وعشرون ديناراً مصرياً، ولو لا الحياء ممن تعرض لها وهو مبارك بن منقذ التبريزي أحد أمراء الدولة الصلاحية ... لكان ثمنها قد زاد على ذلك))[١٨١] وتوفى عام ٣٨٤هـ /٩٩٤م.

٢. الأدب:

الأدب لغة ((الذي يتأدب به الأديب من الناس ... وهو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق))[١٨٢]، أما الاصطلاح فهو ((الإجادة بفني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطيعة وسجع متساو في الإجادة ومسائل في اللغة والنحو ... مع ذكر بعض أيام العرب... كذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والإخبار العامة))[١٨٣]، والغرض منه معرفة التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة، وموضوعه اللفظ والخط من حيث أهمية دلالتهما عن المعاني، والمنفعة التي يحققها إظهار المقاصد الموجودة في نفس الإنسان وإيصالها إلى شخص آخر[١٨٤]، وممن كان لهم الأثر الواضح في مجال الأدب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١. عبد الله بن محمد بن جعفر القزاز التميمي:

وهو من العلماء المشهورين تميز بالعلم والأدب، وهو ابن اللغوي المعروف محمد بن جعفر القزاز، ولم تسعفنا المصادر عنه سوى انه مات بزويلة بني الخطاب في ارض فزان بصحراء طرابلس ودفن بجانب قبر الشاعر المعروف دعبل الخزاعي[١٨٥].

٢- أبو الحسن على بن نصر بن سليمان البرنيقي :

كان مشهوداً بالأدب، وحسّن الخط ولهذا كتب الكثير، يقول عنه الحموي في هذا المعنى: ((وله خط مضبوط متعارف))[١٨٦] واستمر حتى زمن القفطي، والذي قال فيه: ((لقد رأيت نسخة بخطه من الجمهرة لابن دريد، وبيعت بأربعة وعشرون ديناراً مصرياً، ولولا الحياء ممن تعرض لها وهو مبارك بن منقذ التبريزي أحد أمراء الدولة الصلاحية ... لكان ثمنها قد زاد على ذلك))[١٨٧]، أما تسميته بالبرنيق نسبة إلى مدينة بين الإسكندرية وبرقة على الساحل [١٨٨]، وهي إحدى المراسي للمراكب الواردة من المغرب[١٨٩]، وتوفى عام ٣٨٤هـ /٩٩٤م.

٣. عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي[١٩٠]:

كان فقيهاً وأديباً، ذكره الحموي بأنه ينسب إلى طرابلس الغرب، سافر إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٥١٠هـ/١١١٦م له أبيات في كتب الغزالي[١٩١]:

هذّب المذْهَبَ حبرّ أحسن الله خِلاصهْ

ببسط ووسيط ووجيزٍ وخِلاصَهْ

٣. الشعر:

هو ديوان العرب والسجل الجامع لأخلاقهم وعاداتهم ومعتقداتهم وعواطفهم وسائر معارفهم، وقوامه القصيدة التي تتكون من قطع متساوية في الوزن ومتحدة في القافية[١٩٢]، لم تتمتع طرابلس وما تبع بها حتى هذه المدة باستقرار سياسي، ولم تتخذ في أي وقت من أوقاتها قاعدة للحكم، ولهذا لم تخرج هذه المدة عن كونها امتداداً لحكم الولاة الذي يعينون من خارج الحدود، ويدينون بالولاء لغيرهم، ولم يكن الولاة من ناحية يتمتعون بنفوذ قوي، كما أنهم لم يستطيعوا من ناحية أخرى، أن يشعروا الناس بالطمأنينة والاستقرار تحت لوائهم، كما إن استقرار الحكم الفاطمي في مصر وتهاونه في أمر المغرب خلق أطماعاً كثيرة في المنطقة وقسمها شيعاً ودويلات، وفتح باباً للطامعين إن يتحركوا ويستقلوا ببعض أجزاء من البلاد.

لهذه الأسباب جميعها لم يزدهر الشعر بالقدر نفسه الذي ازدهر به في إنحاء أخرى من العالم العربي ولم تستطع طرابلس أيام بني خزرون ((أن تكون ذات بلاط أدبي لم تستطع إن تنعش الحياة الأدبية بمثل حماية المعز بن باديس في القيروان أو المستنصر الحفصي في تونس دع عنك ذلك قرطبة الأمويين،واشبيلية العباديين، وحلب الحمدانيين وقاهرة الفاطميين وبغداد العباسيين))[١٩٣].

ولهذا فإننا على الرغم مما نجده من إشارات إلى شعراء وأدباء يحملون نسباً ليبياً كالوداني والطرابلسي والبرقي – لا نستطيع إن نقرر أنهم استطابوا العيش هناك، وأنتجوا أدبهم أو شعرهم في مسقط رأسهم، بل إننا نستطيع إن تقرر في أحيان كثيرة إن العكس هو ما حدث، وان كثيرين من هؤلاء الشعراء والأدباء الذي لم يجدوا التقدير والتشجيع في وطنهم، خرجوا إلى ارض الله الواسعة واتصلوا ببلاطات أخرى للحكام، ووصلوا أنفسهم بدواوينهم، وطاب لهم المقام معهم وتحت لوائهم، والأمثلة على ذلك كثيرة وسوف نستعرض شعراء هذه الحقبة وهم:

١- الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني التاجوري(ت٥٥٢هـ/١١٥٧م):

كان أبوه قد خرج به من الكوفة وهو ابن سبع ودخل به مراكش ثم انتقل إلى تاجوره[١٩٤] فسكن بها، ثم نتقل بين الخليج ومصر والشام، ورغم كثرة رحلاته فإنه لم يجد الصديق أو الخل الوفي، ولذلك له بيتان في الناس على ذهاب الكرم وكثرة اللئام في العالم وهما[١٩٥]:

جربت في الأرض كل حي فلم أجد في الورى كريما

أظن ما في الطروس زورا عساه أن يسخى اللئيما

٢- احمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن رزعة البرقي:-

شاعر خصب الخيال متدفق الشاعرية فقد وفق غاية التوفيق بين التماس علة مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستظراف وهو ما يسميه البلاغيون بحسن التعليل[١٩٦].

عرف بالبرقي لأنه كان كثير الذهاب إلى برقه للتجارة ومن أبياته في مدح الحاكم بأمر الله حين حدثت زلزلة بمصر:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا نجل الهدى وسليل السادة الصلحا

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحا

وله في الحاكم وغاب وجاء في عقيب غيابه مطر[١٩٧]:

أذرى لفقدك يوم العيد أدمعه من بعد ما كان بيدي البشر والضحكا

لأنه جاء يطوي الأرض من بعد شوقاً إليك فلما لم يجدك بكى

٣- محمد بن أبي سعيد بن شرف الاجدابي الجذامي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)

شاعر ليبي من اجدابية[١٩٨]، برزت أهميته في ارتجاله للشعر فضلاً عن كونه من الشعراء المحدودين في طرابلس وما حولها في المدة التي نتحدث عنها، وكان على صلة بالمعز بن باديس أمير أفريقية بما فيها طرابلس للمدة (٤٠٦-٤٣٣هـ/١٠١٥-١٠٤١م)[١٩٩]، وكان ابن شرف والحسن بن رشيق يتنافسان في قول الشعر أمام المعز، وفي ذات يوم طلب منهما الأمير إن يعملا شعراً في الموز على قافية الغين فوصفاه لتوهما، دون إن يقف احدهما على صفة الأخر وكان ما قاله ابن شرف[٢٠٠]:-

يا حبذا الموزُ وإسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ

لأنه إلى أن لا مَجسَ له فالفم ملآن به فارغ

سيان قلنا مأكل طيب منه وإلا مشرب سائغ

وجمع شعر ابن شرف كما ذكره ابن دحيه في خمسة مجلدات[٢٠١].

٤. أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن البرقي (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م)

وهو شاعر يتميز بالتكلف، وهي سمة واضحة في شعره ومثال ذلك[٢٠٢]:

رماني الدهر منه سهم وفرق بين أحبابي وبيني

في لبي حرارة كل قلب وفي عيني مدامع كل عيني

٥. ابن الحسن علي بن أبي إسحاق بن إبراهيم الوداني[٢٠٣]

أعجب به المصراتي كثيراً ولهذا قال فيه ((لو كان عندي مداد من الذهب لكتبتها على رقاق من الورد))[٢٠٤]، وفضله وجعله في مقدمة الشعراء لعصور طويلة نحو قوله: ((ما أظن إن شاعر من أهل الأندلس أو من بني العباس أو أي عصر مزدهر آخر نادى وهتف مثل قوله))[٢٠٥]، ولا نشأطر المصراتي في رأيه لأن لكل زمان مبدعين وقد يكون هو الأفضل في عصره أو هناك من أفضل منه ما دام العمل من صنع الإنسان، كما مارس العمل في ديوان صقلية.

٦. أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن خراسان(ت٤٩٧هـ/١١٠٣م)[٢٠٦]

وهو من علماء طرابلس، تجول في البلاد وتوفي في خراسان، وذكر الحموي أبيات من شعره منها[٢٠٧]:

أحبابنا غير زهد في محبتكم كوني بمصر وانتم في طرابلس
إن زرتكم فالمنايا في زيارتكم وان هجرتكم فالهجر مفترسي
ولست أرجو نجاحاً من زيارتكم إلا إذا خاض بحرا من دمٍ فرسي

٧. أبو بكر عتيق بن القاسم السرتي:

أحد شعراء طرابلس وينسب إلى مدينة سرت[٢٠٨]، يتميز شعره بالتكلف والغموض لدرجة يجعل من الصعب فهمه ومن شعره[٢٠٩]:

أقول لعيني دائما ولدمعها لسان بس الحب في الخد ناطق
أجّدك ما ينفك لي منك ضائر بسّري والشٍ أو ليني رامق
فلولاك لمّا اعرف العشق أوّلا ولولاه لم يعرف بأني عاشق

نلاحظ من هذه المدة إنه لا يوجد فرق كبير يمكن ملاحظته مع قلة الشعر المروي[٢١٠]، وهي ظاهرة جديرة بالتسجيل والتعليل، ولعل مرجعها ما حل بالبلاد من فوضى سياسية خلال حكم الفاطميين، وانتقالهم من المغرب إلى مصر مارين بعموم أرض ليبيا دون إن يظهروا أية عناية بها، فضلاً عن هجرة بني هلال وبني سليم التي تمت خلال هذه المدة والتي كان لها بعض الدور في إثارة القلائل بين الناس وسلب الطمأنينة من النفوس وهو حالٌ لا يصلح للنهضة الأدبية ولا يعطي الحكام فرصة لاستجلاب الشعراء ورفدهم بالعطاء، وكان للعلاقة المتوترة بين حكام بني خزرون أنفسهم وحكام الشرق والغرب سبب آخر.

ثالثا: علم التاريخ:

قال عنه ابن خلدون أنه: ((من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركاب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقه والإغفال وتتنافس فيه الملوك والإقبال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول ... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها))[٢١١]، أما السخاوي فقد عرفه بأنه: ((فن يبحث فيه من وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بكل مكان في العالم))[٢١٢]، أما التهانوي فقال عنه: ((هو تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع من ملة أو دولة أو حدث فيه مسائل كزلزلة وطوفان ينسب إليه أي إلى ذلك اليوم ما يراد تعيين وقته في مستألف الزمان أو في مقدمته))[٢١٣]، كما عرفه روزنثال: ((هو الوصف الأدبي لأي نشأط أنساني سواء قام به الإفراد أو الجماعات والذي يتجلى في تطور أية جماعة أو فرد أو يؤثر في تطوها))[٢١٤]، والغرض منه معرفة أحوال الماضين من الأمم من أخلاقها والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا[٢١٥]، وممن اهتم بعلم التاريخ من أهل طرابلس أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن الاجدابي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الذي كان عالماً فاضلا عارفاً بالتاريخ وكان ثقة دفن بباب سلم بتونس[٢١٦]،

وكذلك أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الاجدابي (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) كان عالماً فاضلاً ومؤرخا جليلاً وثقة[٢١٧] في حين كان لأبي الحسن علي بن عبد الله بن مخلوف الطرابلسي (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) اهتمام بالتاريخ ولهذا كتب تاريخ مدينة طرابلس وما تبع بها ((وكان فاضلا في فنون شتى))[٢١٨] سافر إلى الحج وأدركته المنية بمكة في ذي الحجة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م[٢١٩]، وأخيراً كان أحمد بن عبد الله البرقي[٢٢٠] أديباً وشاعراً فضلاً عن كونه مؤرخاً حدث المغازي عن عبد الملك بن هشام، وكان ثقة وله تاريخ[٢٢١].

رابعاً: علم حساب المساحة:

الحساب هو ((صناعة علمية في حساب الإعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الإعداد بالإفراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عدد أحاد عدد آخر وهذا هو الضرب، والتفريق أيضاً يكون في الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفضيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة))[٢٢٢]، أما المساحة فهي إحدى فروع الهندسة وهو ((فن يحتاج إليه في مسح الأرض ومعناه استخراج مقدار الأرض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما ونسبة ارض من ارض إذا قيست بمثل ذلك في توظيف الخراج على المزارع ... وفي قسمة الحوائط والأراضي بين الشركاء أو الورثة))[٢٢٣]، وممن اهتم من أهل طرابلس بالحساب والهندسة عبد الله بن عبد الله المعروف بالبرقي الموسوعي في مجال العلوم الصرفة لأنه كان على معرفة بالحساب والهندسة فضلاً عن عمله بصناعة الكيمياء وكانت له مكانة عند الأمراء وله مؤلفات كثيرة[٢٢٤]، وكذلك أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الاجدابي[٢٢٥] الذي ألف في فروع متنوعة من العلم ومنها كتاب الأزمنة والأنواء ويضم الكتاب على زبدة علم الأزمنة والأنواء عند العرب في الجاهلية والإسلام، وخلاصة ما أخذه العرب في هذا الفن من الأمم الأخرى التي اتصلوا بها بعد الإسلام، وفصولا مستمدة من علوم الهيئة والنجوم التي نشأت عند العرب بعد الإسلام، كما انه يحتوي على مجموعة من الإشعار والأسجاع المتعلقة بالموضوع مع العناية بشروحها، مما يجعل الكتاب ذا فائدة قيمة خاصة، واتبع المؤلف خطة الإيجاز فلم يحشر الآراء المختلفة، والنظريات المتضاربة، وإنما اخذ الخطوط العامة والأفكار الرئيسة في سهولة ويسر وبلغة بعيدة عن التعقيد العلمي، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات أكثر عن هذا العلم ورجاله ربما يرجع ذلك إلى توجه الاهتمام تجاه العلوم الدينية بصورة رئيسة، مما أهملوا أو قصروا في ذكر العلوم الصرفة.

يتضح مما سبق وجود نهضة ثقافية دينية في طرابلس الغرب وما جاورها لاسيما في القرن الرابع الهجري، وهي كنظائرها من المدن الإسلامية الأخرى، إذ نبغ فيها عدد من العلماء منهم أبو جعفر احمد بن نصر وأبو الحسن علي بن محمد بن المنمر وغيرهم، ومع هذا فقد تعثرت الحركة العلمية في القرن الخامس الهجري بسبب الاضطراب السياسي والفوضى التي عمت عقب الغزوة الهلالية، إلى جانب عدم وجود الحكام الذي يشجعون النشأط العلمي.

المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية في طرابلس:

١. الزراعة:

شكلت الزراعة مورداً مهماً في مدن المغرب ومنها طرابلس وما تبعها، فقد زاول سكانها هذه المهنة منذ وقت مبكر يرجع إلى العصور الرومانية واليونانية[٢٢٦]، إذ اعتمدت بشكل أساسي على هطول الإمطار في فصلي الشتاء والخريف، والناجمة منه هبوب الرياح الغربية العكسية على المناطق الشمالية الساحلية المطلة على البحر المتوسط الأمر الذي وفر المناخ الملائم لزراعة مختلف أنواع الحبوب والخضروات والأشجار المثمرة والتي تستهلك في الداخل ويصدر الفائض منها إلى الخارج في أوقات الإنتاج الوفير[٢٢٧].

وقبل أن نتحدث عن أهم المحاصيل الزراعية المنتجة في هذه الحقبة لا بد من الإشارة إلى ما يأتي:

أ. وسائل الري:

يشكل الماء عنصراً فعالاً في حياة الإنسان والحيوان والنبات، وعلى الرغم من تعدد مصادر المياه، إلا أنها كانت تعتمد بشكل أساسي على الإمطار المتقلبة التي تؤثر بشكل أو بآخر على وفرة المنتجات الزراعية، ومع هذا فقد عولجت هذه المشكلة وسخرت لصالح المجتمع الزراعي وذلك بأتباع طرق متعددة ومنذ مدة [٢٢٨]، إذ استطاعوا من تنظيم المياه ورفعها من الأودية آو جليها من أماكن بعيدة[٢٢٩]، ومن الوسائل المهمة التي أنجزت في هذا المجال هي الصهاريج أو المواجل[٢٣٠] والجباب[٢٣١]، فاشتهرت بلاد المغرب بشكل عام في المدة التي نحن بصددها ببناء الصهاريج والخزانات وإنشأء القنوات في مختلف المناطق، لدرجة انه يوجد موظف خاص يسمى (صاحب المياه)[٢٣٢]، وإذا كانت المواجل أحواض مكشوفة للهواء، فكانت هناك خزانات جوفية للمياه أو ما يطلق عليها جباب تحفظ فيها مياه الأمطار[٢٣٣]، وكانت المنطقة الممتدة بين برقة ومناطق أفريقية الأخرى بما فيها طرابلس تحتوي على الجباب (يقال إن عددها ثلاثة ماية [مائة] وستون جباً)[٢٣٤].

ما عمل أهل المغرب ومنهم أهل طرابلس وما حولها وسائل متعددة للاستفادة من المياه في سقي المحاصيل الزراعية منها شق الترع وتفريغ الأنهار إلى جداول وقنوات، وكذلك الاستفادة من مياه المواجل والجباب، كما اتجهوا إلى تقسيم المياه بين المزارعين، ومن أكثر وسائل الري انتشارا في بلاد المغرب بصورة عامة الرفع من السواقي (سواني) والنواعير والدواليب والخطّارة التي هي من الدواليب وتستخدم لرفع المياه من الآبار[٢٣٥].

ب. طرق الزراعة:

كان العمل الزراعي في بلاد المغرب ومنها طرابلس، يقوم على ثلاثة ضروب من الأراضي وهي البور والقليب ومعمور، فالبور لا تصلح إلا بالقلب والتنزيل، والقليب وهو قلب الأرض مرة بعد مرة ويبدأ من بداية السنة ويكون حرث الأرض ما بين مرة إلى أربع مرات، إذ تترك للحر المفرط، ورغم العمل الشاق فان بعض المحاصيل لا تجود إلا في ارض القليب كالقمح والعدس[٢٣٦]، وفي أوان الزرع تحرث الأرض الصغيرة بالمرحيفل (ميزان الأرض) والكبيرة بالجاروف الذي تجره البقرة[٢٣٧]، وبعد تعديل الأرض تخط للغراسة خطوطاً مستقيمة مقابلة لريح من كل جهة وتتباعد الغراسات باختلاف وأنواع الثمار[٢٣٨]، وأخيراً لابد من الإشارة إلى إن المصادر المتوفرة لدينا لم تمدنا بمعلومات عن أوضاع الفلاح وطرق الزراعة ومواسم الحصاد والبذار في المدة التي نحن بصددها.

أما أهم المحاصيل الزراعية في طرابلس وما تبع بها في المدة التي نحن بصددها فهي:

أ. الحبوب:

اعتمدت الزراعة في طرابلس، لاسيما زراعة الحبوب على هطول الإمطار، ولهذا تزداد كمية المحصول بزيادة الأمطار وتقل بقلته، ويذكر البكري[٢٣٩] في هذا المعنى إن محضا بطرابلس يسمى سوجين يزرع القمح والشعير ينتج في بعض السنين ضعف الإنتاج (فمحض سوجين يصيب سنة في سنتين) للدلالة عن كثرة محصول الحبوب.

يعّد الشعير في مقدمة الحبوب وأهمها لاتصالها بغذاء الأهالي إذ إن نسبة كبيرة من سكان المدينة يعتمدون عليه في غذائهم من ناحية، كما انه علف لحيواناتهم من ناحية أخرى، فضلاً على انه لا يحتاج إلى كميات كبيرة أو العناية الكاملة مثل القمح، لدرجة أن سنوات القحط تصدر في كميات منه إلى المناطق الأخرى، ولم تقتصر الحبوب على القمح والشعير فقط، فقد شهدت طرابلس زراعة أنواع أخرى من الحبوب وإن كانت تقل عن سابقتها من حيث الجودة والقيمة الغذائية وأهم هذه الحبوب:

١. الذرة: وهي من المحاصيل التي تعتمد على الري الدائم وتعرف بين عامة الأهالي (سبول) أو (سبول مصر) وتشكل عنصرا مهما وأساسيا لعامة الأهالي والفقراء منهم خاصة، ولذلك كان الإنتاج يستهلك داخليا ولا يصدر إلى الخارج.

٢. الدخن: وهي من الحبوب التي لها علاقة بغذاء الحيوان، فأوراقه وسيقانه تعّد من الأغذية المسمنة للحيوانات، وكان إنتاجه محدداً إلى حد ما[٢٤٠] .

٣. البشنة: وهي من أنواع الحبوب التي كانت تزرع في طرابلس وما جاورها، ويعد من الحبوب التي تعتمد عليها الطبقات الفقيرة في غذائها لرخص ثمنها، وكان إنتاجها في مناطق محددة منها تاجورة وجنزور وغيرها.

هناك حبوب أخرى تتفاوت في أهميتها عما ذكرناه، واعتمد عليها الأهالي في غذائهم اليومي لرخص ثمنها، ولعدم القدرة على شراء الحبوب ذات القيمة الغذائية العالية مثل القمح والشعير ومن تلك الحبوب القاقولي[٢٤١] والحبوب الكتانية وحب العزيز وحب الرشاد[٢٤٢].

ب. الفواكــه:

١. النخيل:

تعّد النخيل من الأشجار المباركة، إذ ورد ذكرها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (وهزي إليكِ بجذع النخلة تسقط [تساقط] عليكِ رطباً جنيا)[٢٤٣]، وتمتاز النخلة عن مثيلاتها من الأشجار بأن جميع أجزائها مفيد للإنسان، فثمرها(التمر) يعّد غذاءً مهماً للإنسان منذ القدم لاسيما في الأرياف والصحاري، وكذلك عصير التمر (الدبس) هو الآخر يدخل في غذاء الإنسان، ونواة التمر (النوى) يستخدم علفاً للمواشي، وسعفها يستعمل في صناعة الحصران والسلال، وجريدها يدخل في صناعة الأسرَّة والكراسي والتي يكثر استعمالها في المناطق الريفية وكذلك جذوع النخل يستعمل في المبأني والقناطر على الأنهار الصغيرة.

اشتهرت العديد من مدن المغرب بإنتاج أنواع مختلفة من التمور سواء كان ذلك في المدن الواقعة على إطراف الصحراء ومنها ودان[٢٤٤] وصبره[٢٤٥] وسرت[٢٤٦] واجدابيه[٢٤٧] وغيرها[٢٤٨]، وكذلك في مدن سهول أفريقية ، وقدم لنا الزهري[٢٤٩] وصفا شاملا لمدن أفريقية ومنها طرابلس والقيروان وصفاقس وسوسة وغيرها[٢٥٠] إذ يذكر: ((بأن هذه البلاد تعرف بجزائر التمر لأن فيها نخلاً كثيراً وتمراً غزيراً وينتهي التمر عندهم إلى عشرة أصناف لا يشبه بعضه بعضاً لا في النعت ولا في الطعم، وهو أكثر طعامهم لأن الزرع عندهم قليل بسبب دخول العرب الهلاليين))، وهذه الرواية تدل على أن التمر مادة ضرورية في كل الأوقات، فضلاً عن ذلك اشتهار بلاد أفريقية ومنها طرابلس بإنتاج التمور على مر العصور.

وتنفرد طرابلس باستخراج شراب من جذع النخلة اشتهر به ويسمى (اللاقبي) يشبه في طعمه ثمرة جوز الهند ، ثم يميل بعد ذلك إلى الحموضة، ويبدأ بعدها يخمر، ويصبح نوعا من المسكرات[٢٥١].

٢. أنواع أخرى من الفواكه:

تكثر في مدينة طرابلس وغيرها من مدن المغرب الأخرى أنواع من الفواكه منها أشجار البرتقال التي كانت من أشهر أنواع الحمضيات المعروفة في طرابلس وما تبع بها، حيث كثرت زراعته، وكان على أنواع منها السكري الذي كان الإنتاج منه غزيراً، لذلك كانت تصدر كميات منه إلى الخارج[٢٥٢]، وللأسباب الطبيعة المرتبطة بنوعية البرتقال، فإنه لا يحتمل التخزين مدة طويلة، إذ يتعرض للتلف مما يسبب خسارة كبيرة[٢٥٣]، ومع هذا فقد كان يستفاد من قشوره في استخراج زيت خاص يدخل في بعض الصناعات[٢٥٤]، كما إن المنطقة كانت صالحة لزراعة أشجار العنب الذي كان يزرع بكثرة في طرابلس وما حولها من المدن، إلا أن الأهالي لم يستغلوا الأراضي جميعها لزراعة العنب بما يحقق لهم ثروة كبيرة[٢٥٥]، ولهذا كان الإنتاج يستهلك محليا ولا يصدر منه إلى الخارج، كما وشهدت طرابلس وما تبع بها من المناطق زراعة أنواع من الفواكه منها التفاح والجوز واللوز والسفرجل[٢٥٦] وغيرها.

ج. المحاصيل الأخرى:

عرفت طرابلس وما جاورها بزراعة محاصيل متنوعة وضرورية منها الزيتون الذي كان معروفا بطرابلس بشكل كبير نتيجة الأرض الصالحة لزراعته فضلاً عن كونه من الأشجار المباركة[٢٥٧]، كما اشتهرت طرابلس بزراعة القطن فضلاً عن زراعة أنواع من الخضروات والبقوليات الصيفية منها والشتوية، إذ كانت محل اهتمام الفلاحين، لاسيما في قرى وضواحي المدينة حيث كانت مصادر الري من عيون وآبار وكذلك أماكن سكنى الأهالي وغيرها ممن تحتاج لشراء كميات كبيرة من الخضروات وبشكل يومي، وأهم الخضروات والبقوليات التي عرفتها المدينة وتوابعها هي: البطاطا[٢٥٨] والسلق القرع والقرع الأحمر والبصل والذرة والحمص والسمسم وغيرها[٢٥٩].

د. الرعي وتربية الماشية:

عرفت طرابلس وما تبع بها في المدة التي نحن بصددها أنواعا مختلفة من الحيوانات التي ارتبط الكثير منها بحياة المزارعين من خلال استعمالها في حراثة الأرض أو في نقل المحاصيل الزراعية أو ما تنتجه من لحوم وبيض وحليب وجلود وصوف وغيرها، وقبل إن نستعرض أهم الحيوانات في المنطقة لا بد من التعريج إلى طرق الرعي وهي:

١. الرعي المختلط بمناطق الزراعة وهو عادة ما يكون صاحب الماشية هو المزارع وصاحب الأرض.
٢. الرعي الصحراوي ويكون صاحب الماشية هو راعي ولا يعمل شيء آخر سوى الرعي[٢٦٠].

أما أهم الحيوانات فهي:

١. الجمال:

يطلق عليه (سفينة الصحراء)، وهو أقدم وسائل النقل التي استعملها سكان طرابلس، ويتميز الجمل بكونه ذات سنام واحد، فالمسافرون من طرابلس إلى المناطق الصحراوية، لا يحملون معهم زاداً للجمال، بل يكفي بتغذيته على الإعشاب المتوفرة في الصحراء، ويتحمل العطش أياماً عديدة تصل في بعض الأحيان إلى أسبوعين[٢٦١]، ويحتفظ بمخزون كاف من الغذاء من سنامه، والإبل المنتشرة في الشمال تتميز بارتفاعها القليل ورقبتها القصيرة والغليظة ورأسها الكبير ووبرها الطويل وهي قادرة على حماية نفسها في برد الشتاء وتتميز أخيرا بقدرتها على حمل الإثقال[٢٦٢]، فضلاً عن استعمال الجمال وسيلة لركوب في السفر، فقد كان الأهالي يأكلون لحومها ولو بشكل قليل، لأن المذبوح من البقر والأغنام وغيرها من الحيوانات لا يقارن بما مذبوح من الإبل، وعلى العموم تمتلك طرابلس وما تبع بها عدداً كبيراً منها[٢٦٣].

٢. الخيول:

عرفت طرابلس كغيرها من مدن المنطقة تربية الخيول والتي امتازت بوجود نوعين متميزين:

أ. الخيول الأفريقية ذات القامة القصيرة والبنية القوية، ويستعمل في الركوب وحمل الإثقال.
ب. الخيول العربية ذات التكوين المتناسق الرشيق والمصنفة بسرعة حركاتها وتستعمل في الركوب والقتال والسباق[٢٦٤].

٣. الأبقار:

انتشرت تربية الأبقار بطرابلس وغيرها من المدن المجاورة، وتتميز الأبقار في المنطقة بكونها ضعيفة البنية، فضلاً عن إنتاجها المحدود من الحليب، حتى إن أهالي هذه المناطق يستغنون عن حليب البقر بحليب الماعز، في حين يستفاد من البقر في حراثة الأرض واستخراج الماء من الآبار، فضلاً عن جلودها ولحومها، وكانت كميات من الأبقار تصدر إلى المناطق المجاورة[٢٦٥].

٤. الأغنام:

انتشرت تربية الأغنام بشكل واسع في كثير من المناطق إذ أن قطاعات واسعة من الأهالي، لاسيما البدو وكانت تعتمد في معيشتها على منتجات الأغنام من اللحوم والأصواف والحليب، وتمتاز الأغنام بقدرتها على تحمل الجفاف ومقاومة الجوع والعطش مدة طويلة، الأمر الذي ساعدها على تحمل الظروف المناخية في بعض المناطق، كما تمتاز الأغنام بجودة لحومها لتناولها الإعشاب ذات الرائحة الطيبة المنتشرة في المنطقة[٢٦٦]، أما الصوف فيرتبط إنتاجه بالمواسم، ورغم ذلك فالصوف الطرابلسي متدني الجودة فهو من النوع الخشن الذي لا يلاقي إقبالا كبيرا في الخارج لارتفاع نسبة الرمال العالقة به من جانب، ولعدم اهتمام الباعة بتنظيفه جيدا قبل التصدير إلى الخارج من جانب آخر، لذلك فهو لا يصلح لصناعة الملابس الصوفية، ولكنه يدخل في صناعة السجاد والبسط والعباءات[٢٦٧].

٥. الماعز:

يأتي الماعز من حيث الأهمية بعد الأغنام، وترتبط بتربيته عدة مساوئ، فهي تسبب في إضعاف النمو النباتي، لأنه يتميز بقدرته على أكل أوراق النباتات وبراعمها المثمرة واجتثاث جذور النباتات، وتسهم أيضاً في تفتيت التربة بحوافرها الدقيقة، مما تسبب أضراراً كبيرة في التربة فتقل خصوبتها، ومع ذلك يعّد الماعز من الحيوانات المهمة فهي من مصادر اللحوم المهمة، كما إن الكثير من الأهالي يفضلون حليب الماعز على حليب البقر، ويعّد هو والجبن من الوجبات المهمة لكثير من المزارعين، أما غذاء الماعز فهو قليل وبسيط، لذلك يعرف الماعز ببقرة الفقير، وتكثر تربيته في المراعي الفقيرة والمنحدرات لقدرتها على التسلق والسير في المناطق الوعرة دون أن تصاب بأذى[٢٦٨].

٦. حيوانات أخرى:

هناك حيوانات أخرى كانت تعيش في طرابلس وما حولها في المدة التي نحن بصددها، ومنها الدواجن التي كانت تربى في كل بيت من البيوت، إذ يستفاد من لحومها وبيضها وتتم تربيتها بالطرق التقليدية، ويتم تكاثر الدواجن ببطء، وكذلك الحمير والبغال التي يستفاد منها الأهالي في مجال حمل الإثقال والمحاصيل الزراعية وكذلك حراثة الأرض فضلاً عن استخدام البغال في الجيش لجر المعدات وغيرها[٢٦٩].

ولا بد من ذكر الثروة السمكية إذ كان لموقع طرابلس المشرف على البحر الغني بها، إلا أن عمليات الصيد كانت تقليدية وبدائية إلى حد ما والكميات التي يتم اصطيادها قليلة ولا تسد إلا الحاجة المحلية[٢٧٠].

ب. الصناعة :

كانت الصناعة في تلك الحقبة، صناعة تقليدية ليس لها شان مهم في الحياة الاقتصادية، وكانت بسيطة جداً ولا تحقق دخلا كبيرا للعاملين ضمن صفوفها، حتى انه كان ينظر باحتقار إلى الأشخاص الذين يزاولون الإعمال الصناعية، فالزراعة والتجارة كانت أهم القطاعات الاقتصادية التي تحقق احتراما وموردا ماليا كافيا للعاملين في صفوفها.

وكانت الصناعة مع ذلك لها أسواق خارج المدينة وان كانت بدائية أو تقليدية، سواء أسواقا عربية أم غير عربية، والتي كانت تستورد بعض صناعات المدينة التي تفتقر إليها تلك الأسواق، فضلاً عن رخص أثمانها قياسا إلى مثيلاتها في المناطق الأخرى، وكان هناك حرفيون يقومون بتلك الصناعات لسد الحاجة المحلية، وانتظم كهؤلاء في طوائف حرفية شبيهة بالنقابات في وقتنا الحاضر، إذ كان لكل حرفة أو صناعة تنظيم خاص وتقاليد متعارف عليها لا يمكن تجاوزها أو عدم الالتزام بها، وكان لكل حرفة (أمين) ينتخب من قبل إفراد الحرفة الواحدة أو يتم تعينه ليقوم بتنظيم إعمال الحرفة مع الحرف الأخرى من جهة والحكومة من جهة أخرى، وفي أحيان أخرى كانت هذه الطوائف أو التنظيمات الحرفية ترتبط فيما بينها بروابط دينية صوفية، تحقق لأعضائها الحماية وضمان الحقوق[٢٧١]، ومن أهم طوائف الحرفيين التي عرفتها المدنية خلال هذه الحقبة الحرايرية (باعة الحرير) والحرارة (باعة الأقمشة والمنسوجات) وأسطوات البناء والسراجة (صانعو السراج)[٢٧٢] وغيرهم، وعلى العموم تتميز الصناعة في هذه الحقبة بما يأتي[٢٧٣]:

١. كانت تقليدية من جيل إلى جيل، دون أي تطور أو إضافة.
٢. أنها يدوية، معتمد على جهد الإنسان.
٣. قيامها على تصنيع المواد الأولية المتوفرة في المدينة مثل الصوف والجلود وسعف النخيل وغيرها.
٤. قامت أساساً لسد الحاجة المحلية وتوفير الاحتياجات الأساسية من ملبس ومأكل وأدوات فلاحة وغيرها.
٥. اتسمت بالفردية، فالصناعة يقوم بها فرد واحد أو عدة أفراد من عائلة واحدة تمتهن هذه الحرفة أو الصناعة.

وكانت الصناعة تتركز في ثلاثة مجالات وهي:

١. نطاق الأسرة :

تتكون الأسرة من الأبويين والأبناء والمتزوجين والأحفاد، وتكوّن الأسرة وحدة اقتصادية مستقلة متكاملة، فكانت المرأة فضلاً عن قيامها بإعمال المنزل اليومية تقوم بكثير من الصناعات التي تحتاجها الأسرة من غزل الصوف وحياكته لعمل الملابس وأغطية المنزل وغيرها[٢٧٤] من الأعمال لسد حاجة الأسرة الطبيعية فضلاً عن بيع الزائد عن الحاجة.

٢. نطاق القرية أو القبيلة:

ظهرت بعض الصناعات تخصصت في منطقة أو جماعة، إذ تتطلب نوعا من المهارة والتخصص والتفرغ للعمل مثل الأمور الخاصة بالنجارة والحدادة وتصنيع الأبواب النوافذ والأدوات المستعملة في الزراعة، وتكون الصناعة في هذا المجال محدود الإنتاج، فهي تهدف إلى سدّ حاجة إفراد القبيلة أو القرية من دون التفكير بتصدير جزء منها خارج نطاق القرية.

٣. نطاق المدينة:

يتم تصنيع سلع مختلفة وعلى نطاق واسع في مدن كثيرة ومنها مدينة طرابلس ويهدف ذلك إلى سد حاجة الأسواق المحلية من جانب وتصدير جزء منه إلى الخارج من جانب آخر، وأبرز هذه الصناعات هي النسيج والفخار والحصّر والمصنوعات الذهبية والفضية، إذ توجد الأسواق الخاصة بكل حرفة، فالمحل المخصص لصناعة معينة هو معمل في جزئه الخلفي، في حين يوجد مكان بارز يجذب الانتباه لعرض السلع[٢٧٥].

وأهم الصناعات الموجودة في المدينة وما حولها فهي:

أولا: صناعة النسيج :

تعد صناعة النسيج من أبرز الصناعات التقليدية في هذه الحقبة، والتي تعتمد على الطريقة البدائية باستعمال يد الإنسان من دون استعمال الآلات الحديثة[٢٧٦]، وكانت للمرأة دور مهم إلى جانب الرجل بهذه الحرفة ومنذ مدة طويلة اعتمدت على أداة خاصة عرفت بالمسدة[٢٧٧] والتي استمر استخدامها حتى في الأزمان اللاحقة، وكان لكل نوع من المنسوجات صناع مهرة لهم سوق خاص بهم[٢٧٨]، ومن تلك المنسوجات :

أ. الأنسجة الصوفية :

تحتل الأنسجة الصوفية المكانة الأولى من مجموع صناعة النسيج لارتباطها بالفرد، فهي مصدر لملبسه وكذلك لفراشه، وأهم مصنوعات طرابلس الأردية الرجالية المعروفة باسم الحولي(براكان)[٢٧٩] وهو الرداء التقليدي للأهالي ويكون رقيقاً أو سميكاً حسب الخيط المستعمل في نسجه[٢٨٠]، ويأتي بعد الحولي في الأهمية صناعة البطانية[٢٨١]، فضلاً عن أصناف أخرى من المصنوعات والتي يدخل الصوف في إنتاجها، ويستعمل من قبل الأهالي ومنها:

١. الحمل: وهو الفرش الكبير من أربع قطع شرائطية الشكل بواسطة نول أفقي، ثم يقرن بعضها مع بعض، وتكون ألواناً مختلفة.
٢. الكيم: وهو من الفرش الصغيرة الجميلة، والتي تأخذ شكلاً زخرفياً كالجمل والغزال وتصنع من ألوان مختلفة أبرزها الأحمر.

٣. مقتنيات شعبية ومنها:

أ. المخلاة: وتستعمل في نقل الأمتعة والحاجات.

ب. الخرج: وهو كيس صوفي لع جيبان يوضع على ظهر الدواب ويستعمل انقل الأمتعة في السفر.

ت. الغراة: وهو كيس يستعمل لتعبئة الحبوب وخزنها.

ث. الوسادة: والتي تعد من محتويات الخيمة الأساسية في البادية[٢٨٢].

ب . الأنسجة القطنية:

تصنع من خيوط الألبسة النسائية والرجالية بألوانها المختلفة التي كان من أبرزها الأزرق والأحمر التي تطعم بخيوط بيضاء في اغلب الأوقات، وكان لكل منطقة لونها المميز والمحبب إلى الأهالي، واغلب الإنتاج يستخدم في المدينة وتوابعها باستثناء نسبة قليلة يصدر إلى المناطق الأخرى[٢٨٣].

ج. الأنسجة الحريرية:

اشتهرت طرابلس بإنتاج الأردية الحريرية المعروفة بجودتها والتي كان لها انتشار واسع بالمدينة وتوابعها، حيث تصنع الأردية الحريرية للنساء والرجال على حد سواء، واحتكر اليهود هذه الحرفة بشكل خاص بالاعتماد على الأنوال اليدوية المصنوعة من الخشب والتي كانت تدار باليد، وكانت للمنسوجات الحريرية سوق خاص بها يعرف بسوق الحرير حيث تباع الألبسة الحريرية ومناديل الرأس الخاصة بالنساء، ويستخدم اغلب الإنتاج في الداخل في حين يصدر الزائد إلى مصر وتونس[٢٨٤].

د. أنسجة حب الرمان:

يصنع من هذه الأنسجة أردية تتميز بذوق رفيع، تكون مزركشة بألوان مختلفة، تدل على مهارة صناعها، ويستعمل في صنع هذه الأردية خيوط القطن أو الخيوط الحريرية، وتعرف أردية حب الرمان بالمثقل، ويكثر استعمالها في الجهات الشرقية من المدينة وغيرها.

هـ . أنسجة نول المحرمة:

المحرمة أو(التستمال) هو الرداء المستعمل لغطاء الرأس، يتميز بصغره عن الأردية، فهو مربع الشكل، وتكون ألوان المحارم نفس ألوان الأردية الاعتيادية ولكنها تتميز عنها بأن تترك حواشي المحرمة من دون نسيج [٢٨٥] لتعطي شكلاً مميزاً.

ثانياً: الصناعة الجلدية وباعة الجلود :

كان تصنيع المواد الجلدية وإنتاجها من الصناعات الرائجة في المنطقة ومنها طرابلس والتي تتميز بجودتها ودقة صناعتها ، وكانت تضاهي منتجات المناطق الأخرى، وأهم تلك المصنوعات[٢٨٦] هي :

١. الأحذية النسائية (الترليك) الدقيقة الصنع الموشاة بخيوط الفضة.

٢. الخف النسائي والرجالي (بلغة) المنقوش بخيوط الفضة والحرير.

٣. سراويل السيف وحمّالة توضع على كتف المحارب.

٤. سراويل الخيل المزخرفة والموشاة بالفضة.

ثالثاً : صناعة الفضة والذهب:

تعد صناعة الفضة من الصناعات المتميزة، وكانت سبائك الفضة تستورد من مناطق كثيرة، وأحيانا يتم الحصول عليها من إذابة النقود الفضية[٢٨٧]، ويزداد الطلب على شراء المصوغات الفضية في موسم الخصب والرفاه حيث تكثر الإعراس، وكان البدو أكثر الناس إقبالاً على شراء المصنوعات الفضية لتديمها هدايا إلى نسائهم[٢٨٨].

أما صناعة الذهب فقد كان الإقبال عليها اقل نسبياً من الفضة بسبب ارتفاع سعر الذهب ولهذا اقتصر شراء الذهب على ميسوري الحال من الأهالي وخاصة اليهود، ومن أشهر أنواع الحلي الخلاخيل والقلائد والخواتم، والخميسة والحويتة والقرنين، وهي نوع من الحلي تنتشر انتشاراً واسعا في المنطقة والمناطق المجاورة لاعتقاد الأهالي إنها أشكال تبعد الحسد والعين[٢٨٩]، ومن أنواع الحلي أيضاً الدبالج وهي أساور عريضة الشكل بها نقوش وتكون من الذهب الخالص والونايس والمناقش والتكليلة، وهي أقراط من الذهب الخالص على شكل حلقات مشكلة بأحجار من الجواهر، والحدايد وهي أساور رقيقة السمك تلبسها المرأة في معصمها، والخناق وهو عقد من الذهب يجمع عدداً من العملات الذهبية القديمة ويكون على شكل زخرفي جميل[٢٩٠]، ويرجع سبب تنوّع واختلاف أشكال الحلي إلى تميّز كل منطقة بطابع مميز ومختلف عن المنطقة الأخرى.

وفضلاً عن صياغة الذهب والفضة فقد اشتهرت المدينة بحرفة النقش على الأواني النحاسية التي برز فيها عدد من الحرفيين المهرة الذين كانوا ينتجون أواني غاية في الروعة والتميز، وكان الإقبال عليها كبيرا لاسيما من قبل الميسورين والمارين بطرابلس[٢٩١].

رابعاً : صناعة الفخار(الخزف) :

لم تكن صناعة الفخار من الصناعات المتقدمة، إلا أنها كانت تسد حاجة الأهالي من الأواني المنزلية مثل (إبريق ماء الشرب) والحلاّب (إناء حفظ السمن أو الحليب) والكرازية (إناء الزيت النباتي) والإبريق (إناء الوضوء)، وذلك لتوفر كمية من تراب (الطفّل) المستعمل في صناعة الأواني[٢٩٢]، حتى إن معظم بيوت الأهالي في المنطقة كانت تحتوي على أفران الفخار ومكان تزين الأواني بنقوش جميلة[٢٩٣].

خامساً: صناعة الملح:

اشتهرت طرابلس بطول ساحلها وغناه بالملح، وكانت (الملاحة) في طرابلس من المناطق المهمة لإنتاج الملح الذي يصدر إلى مناطق كثيرة وبكميات كبيرة[٢٩٤]، وكذلك كان يصدر إلى دواخل القارة الأفريقية إذ يعّد من البضائع المهمة المصدرة وأغلاها ثمناً، لأنه من المواد النادرة في تلك المناطق فهو يستعمل للإنسان والحيوان على حدة سواء[٢٩٥].

ج. التجارة :

تمتعت طرابلس بموقع جغرافي مهم جعل تتجه اتجهت إليها حيث شكلت الدعامة الأولى لاقتصادها، فقد كانت لها تجارة بحرية مع المدن الايطالية ومدن حوض البحر المتوسط الأخرى، وذلك لما تملكه من ميناء لاستقبال القطع البحرية المتنوعة فضلاً عن تجارتها البرية، إذ كانت تستقبل البضائع الأوربية عن طريق البحر والسلع الأفريقية عن طريق البر، فكانت بذلك سوقاً قويا رابحة الحركة، مما أضاف إلى المدينة الكثير من الكسب المادي، وانتعشت خزينة الإمارة من عائدات الضرائب والمكوس التي تحصل عليها من القوافل والسفن التي تحط بميناء طرابلس، ولعل ما يوضح نشأط موانئ الإقليم ما ذكره أبن حوقل عنه بقوله: ((وجوه أموالها جَمه، وبها التجار وكثرة الغرباء في كل وقت لاينقطع، طلابا لما فيها من التجارة وعابرين عليها مغربين ومشرقين))[٢٩٦]، في حين ينقل لنا التجاني عن الميناء قائـلاً: ((... وبخارج باب البحر منها، منظر من أنزه المناظر مشرف على الساحل، حيث مرسى المدينة، وهو مرسى حسّن متسع تَقُربُ المراكب فيه من البر ومصطف هناك اصطفاف الجياد في أواريها))[٢٩٧]، اشتهرت طرابلس بتصدير بعض السلع والتي من بينها الصوف

والزيت والقمح وريش النعام والزيت الخاص بالصابون والجلد والحبال والشمع[٢٩٨]، وشجعت الاتفاقيات والمعاهدات على تطور التجارة فيها، فهذه البندقية قد تولت شراء الملح بامتياز خاص لها دون غيرها بموجب معاهدات خاصة، والملح مادة يحتاجون إليها لإغراض متنوعة، وما يوضح مدى أهمية التجارة البحرية في المدينة قول التجاني: ((إن اعتماد المدينة في تموينها على ما يجلب إليها من البحر))[٢٩٩]، ومع هذا قد لا ينطبق هذا القول بالكامل على طرابلس وتوابعها وذلك لوجود أراضي خصبة كثيرة الخضرة، ومن ثم يوفر لأهلها ما يحتاجونه من متطلبات حياتهم اليومية المعيشية وكثيراً ما كان يصدر الفائض إلى الخارج وعليه يمكن اعتبار ما ذكره التجاني في سنوات القحط والكوارث الطبيعية مثل سنوات انحباس المطر وتفشي الأوبئة وغيرها، وحينئذ فقط يتم استيراد التموين من الخارج.

الطرق البرية:

ترتبط طرابلس مع غيرها بسلسلة من الطرق البرية والتي جعلتها مركزا لبضائع الجنوب وغيرها من المناطق ومن تلك الطرق:

١. الطريق الساحلي :

ويمتد الطريق البحري الذي يسميه البكري الجادة[٣٠٠] من الإسكندرية مارا بذات الحمام ثم إلى برقة ومنها إلى اجدابية[٣٠١] حتى سرت[٣٠٢] فطرابلس[٣٠٣] ثم صفاقس ويتجه الطريق إلى الداخل في اتجاه القيروان، إذ يتفرع إلى ثلاثة طرق تلتقي في المسيلة[٣٠٤] ويستمر إلى تلمسان وفاس[٣٠٥]، ويتميز هذا الطريق بأنه أكثر أمنا وراحة لقوافل التجار المسافرين نتيجة لعمارته التي أشاد بها المؤرخون وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان تمشي بها القبائل ليلا ونهارا[٣٠٦].

أما الطريق الثاني فهو إلى الجنوب من الطريق الأول ويبدأ من الفسطاط إلى برقة [٣٠٧]ويتجه ليلتقي مع الطريق الأول في اجدابية حيث تعد مركزا من مراكز التجارة يوجد بها كل ما يحتاجه التجار من (حمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة)[٣٠٨] ثم يتابع هذا الطريق سيره إلى طرابلس وقابس والقيروان[٣٠٩]، وكان يعرف بطريق السكة[٣١٠]، البريد في أول الأمر ثم عدل بعد ذلك إلى طريق طرابلس ومنها كان يقصد القيروان مباشرةً ثم يتجه ليسير موازيا للساحل[٣١١].

كان من الطبيعي إن تتأثر الطرق التجارية بالعلاقات السياسية بين مصر وعموم مدن المغرب العربي نتيجة القطيعة بين مصر والدولة الزيرية وما ترتب عليها من هجرة بني هلال واتجاه الدولة الزيرية إلى الساحل، الأمر الذي جعل الطريق الساحلي غير امن، لمه فيه من إعمال سلب ونهب من قبل بني هلال وانعكاس ذلك على ارتفاع تكاليف نقل البضائع بين البلدين[٣١٢]، ويضيف لنا الوزان[٣١٣] صعوبة الرحلة في هذا الطريق بقوله: ((لم تجرؤ أي قافلة على المرور في الطريق الساحلي ... وعندما يكون على أي قافلة إن تختار البلاد فعليها أن تمر من الداخل ... أي تسلك الطريق الممتد إلى مصر عن طريق واحات أوجلة وسبوه)) إذا أضفنا إلى كل ذلك الخراب الذي حل بالمراكز التجارية والأسواق الواقعة على هذا الشريان الحيوي جرّاء غارات النورمان واحتلالهم المدن الساحلية[٣١٤]، بيد إن الطريق إلى الشرق من طرابلس لم يكن آمنا من عبث وسلب بني هلال لقوافل التجارة مما قلل من أهميته في نقل التجارة بين مصر والمغرب[٣١٥]، أما عن رحلات القوافل غير هذه الطرق البرية، فكانت في فصل الشتاء إذ تعمل ثلاث قوافل برية تمر من سجلماسة وتصل إلى القيروان وطرابلس وبرقة حتى مصر، هذا فضلاً عن قافلتين في فصل الصيف[٣١٦]، وبالنسبة إلى الطريق الصحراوي فكان يتعذر على التجار المسير فيه في غير فصل الشتاء نتيجة لهبوب رياح السير وكو مثيرةً الكثير من الرمل وتغطى الآبار[٣١٧].

٢. طرق الجنوب:

هناك طرق عدة إلى بلاد السودان وهي:

١- طريق طرابلس فزان[٣١٨] إلى بلاد الجريد[٣١٩] الممتد إلى بلما وكانم بتشاد، تبدأ مسيرة القافلة بهذا الطريق من طرابلس مار بمناطق كثيرة[٣٢٠]، وتستغرق رحلة القوافل في هذا الطريق ذهابا وإيابا ستة أشهر تقريبا، بضمنها أيام الراحة، ويعدّ هذا الطريق من الطرق المهمة التي يسلكها التجار لقلة المخاطر المرتبطة بهذا الطريق من جانب، ووجود موار المياه والنخيل على طول الطريق من جانب آخر، وكانت القوافل التجارية تسلكه لسهولته وقصره، ولهذا نشطت فيه تجارة الرقيق فمهد ذلك لتوغل الإسلام جنوباً فضلاً عن ترويج منتجات برقة ومصر ولاسيما المنسوجات فيها التي كانت تجد قبولاً بتشاد[٣٢١].

٢- طريق طرابلس مروراً بغدامس[٣٢٢] . تادمكة[٣٢٣] (بمالي) وهناك طريق يربط تادمكة بالقيروان وات عبر وارغلة وقسطيلية[٣٢٤]، ويبلغ ساعات السير بهذا الطريق ما بين عشرة إلى اثنتي عشرة ساعة يوميا وبمعدل ست كيلومترات بالساعة الواحدة مع وجود محطات توقف تفصل بين مدينة طرابلس وغدامس وهي:

١. بلدة جنزور على مسير ثلاث ساعات.
٢. بلدة الزاوية على مسير خمس ساعات.
٣. بئر ألا راسيا وبئر القطرة وبلدة فسّاطو وبئر سانية يعقوب وبئر ميزران وغدامس ومحطات تبعد الواحدة عن الأخرى مسير اثنا عشر ساعة وبذلك تبلغ المسافة بين طرابلس وغدامس ثلاثة عشر إلى خمسة عشر يوما[٣٢٥].

أما الطريق الواصل بين غدامس وغات فقد امتاز بآباره المنتشرة على طول الطريق، والتي تعد بمثابة محطات للاستراحة تتوقف عندها القوافل للتزود بالماء، أما أهم المناطق التي تمر بها القوافل إثناء مسيرها من غدامس إلى غات فهي[٣٢٦]:

١. أماسين وتبعد مسيرة ثلاثة أيام.
٢. انازار وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن أماسين.
٣. نازانير وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن انازار.
٤. تاهبلين وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن نازانير.
٥. تاهيمنت وتبعد مسيرة يومين عن تاهبلين.
٦. ايزيز وتبعد مسيرة يومين عن تاهينمت.
٧. غات وتبعد مسيرة يومين عن ايزيز.

وبذلك تقطع القافلة مسيرة تسعة عشر يوما لقطع المسافة الواصلة ما بين غدامس وغات، وبعد غات تتجه القافلة نحو كانو وبمسيرة ستة وخمسين يوما، وتمر خلالها القافلة بمناطق الأيروزيندر، ويعرف هذا الطريق كذلك بخط السودان الوسطى، فمن خلاله تمر القافلة إلى السودان للتوقف وإجراء عملية التبادل عن طريق مقايضة سلع القافلة بالسلع المنتجة في السودان، إن التجارة في هذا الطريق يسيطر عليها سكان غدامس خاصة، وهم يمتهنون التجارة منذ القدم، وساعدهم على ذلك ذكاؤهم وجديتهم وإتقانهم لغة البلاد الأفريقية التي يمرون عليها خلال طريقهم[٣٢٧]، وتستغرق رحلة القافلة من طرابلس كانو مدة تتراوح ما بين أربعة إلى ستة أشهر، وفي أحيان أخرى تصل المدة إلى أكثر من ذلك حسب الظروف التي تقابل سير القافلة.

الطرق البحرية :

يبدأ هذا الطريق من الإسكندرية التي تعد أهم المراكز التجارية في مصر في العصر الفاطمي مارا بسلسلة من الموانئ من أهمها السلوم وطبرق وبرقة وطرابلس وقابس وصفاقس ثم المهدية التي تعتبر بحكم موقعها (قاعدة البلاد الأفريقية وقطب مملكتها)[٣٢٨]، ثم يستمر الطريق إلى أقصى المغرب، ويذكر المراكشي[٣٢٩] إن الطريق بين الإسكندرية وطرابلس فيه حصون كثيرة وميزة هذه الحصون أنها متقاربة جدا، فإذا ظهر في البحر عدو نوُّر كل حصن للحصن الذي

يليه، كإشارة على وجود عدو حتى ينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية وبالعكس في ثلاث أو أربع ساعات من الليل فيأخذ الناس حذرهم واستمر ذلك إلى إن ثارت المغرب على الفاطميين، واثر ذلك في فقدان حماية هذه الحصون لأهميتها بعد إن ترك العمل بنظام المراقبة[٣٣٠]، ورغم تحفظنا عن هذه الرواية وما تحمله من مبالغة ولكننا نخرج بنتيجة هي مدى سرعة وسهولة الاتصال بين طرابلس والإسكندرية وبالعكس من ناحية، والملاحة البحرية بين موانئ ساحل البحر المتوسط من ناحية أخرى، ويبدو ذلك قبل وصول قبائل بني هلال وتخريب هذه الحصون على يدهم.

وصفوة القول إن الطرق التجارية بين مصر وعموم بلاد المغرب تأثرت تأثيرا كبيرا بالتغيرات التي طرأت على الخارطة السياسية لدول المغرب ابتداءً من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، من هجرة بني هلال وقيام دولة الموحدين ثم احتلال النورمان لمدن الساحل الأفريقية، وضعف الدولة الفاطمية، وقيام الحروب الصليبية، كل هذه العوامل مجتمعة انعكست على طرق التجارة التي تتطلب الأمن في المقام الأول، مما قلل من حجم حركة السلع، وتحول مركز الثقل في تجارة البحر المتوسط إلى المدن الايطالية وصقلية إذ يتفرع منها إلى الإسكندرية أو إلى عكا[٣٣١].

واردات مدينة طرابلس:

١. مصر:

تعددت صادرات مصر إلى طرابلس وغيرها من مدن المغرب وذلك لفائض إنتاجها من ناحية ولسيطرتها على البضائع القادمة من الشرق من ناحية أخرى، وأهم تلك الصادرات:

١. **المنسوجات:** كانت مصر تصدّر إلى طرابلس وباقي من مدن المغرب المنسوجات ومنها قماش البوقلمون الذي يعد من الأقمشة المهمة والذي ينتج في تنيس[٣٣٢] وهو قماش يتغير بتغير ساعات النهار[٣٣٣]، وانفردت تنيس بصناعة قماش الشروب[٣٣٤]، كما وتنتج الثوب المعروف البدنة (سداء ولحمة) وينسج ما به بالذهب بطريقة لا يحتاج بعد ذلك إلى تفصيل أو خياطة وكانت قيمة هذا الثوب إلف دينار[٣٣٥]، كما تصدّر أيضاً الأقمشة المذهبة المنقوشة والملونة والتي اشتهرت بها تنيس ودمياط[٣٣٦].

٢. **التوابل:** كانت مصر مستودعا للتوابل والبخور والعطور التي كانت ترد إلى مصر من بلدان الشرق عن طريق ميناء العيذاب[٣٣٧]، ثم تنقل إلى مدينة الفسطاط ومنها إلى الإسكندرية إذ ينقلها التجار المغاربة إلى بلادهم[٣٣٨]، وتدّخل في طعام مختلف الطبقات[٣٣٩]، وكان الفلفل أكثر التوابل طلبا في طرابلس وباقي مدن المغرب، والفلفل على نوعين الأسود وهو الحريف الذي يدخل في الأغذية والأبيض يدخل في صناعة الأدوية[٣٤٠]، كما يأتي مدن المغرب الدار صيني (القرفة) التي تنبت كفي بلاد الصين والحبشة، ثم القرنفل الذي يأتي من سومطرة، ويصل ثمنه إلى ثلاثة إضعاف ثمن القرنفل لاستخدامه في الغذاء والدواء، فضلاً عن جوز الطيب والزنجبيل الذي يحتل مكانا بعد القرنفل[٣٤١].

٣. **سلع أخرى:** كما كانت مصر تصدر إلى طرابلس والمناطق الأخرى المواد الأولية المستخدمة في الصناعات مثل مواد الصباغة كالبقم واللك والنيله، ونظرا لشهرة مدن المغرب بصناعة المنسوجات فقد زاد الطلب على هذه المواد[٣٤٢]، فضلاً عن ملح الامونيوم[٣٤٣].

كما استوردت طرابلس ومدن المغرب العربي الورق الذي كان يصنع من نبات البردي، فضلاً عن المواد الغذائية وأهمها السكر الذي انتشرت مصانعه في مصر وكذلك ماء الورد والياسمين وغيرها[٣٤٤].

٢. جنوب أفريقية:

اشتملت البضائع السودانية المصدرة إلى طرابلس وغيرها من مدن الساحل الإفريقي على عدة سلع منها:

١. **الذهب:** ظل الذهب السلعة السودانية المهمة لدى سلع الساحل الإفريقي وغيرهم لقرون عديدة، ويذكر المسعودي هذه التجارة تم تبادلها بالسلع المختلفة المجلوبة من الشمال[٣٤٥]، ليقوم التجار العرب من طرابلس وغيرها بنقلها إلى بلدانهم على

ظهور الجمال، إذ يستفاد من بعضه في ضرب العملة للتداول المحلي، في حين يصدر الباقي إلى جهات أخرى، وكان لتلك التجارة أثرها في العلاقات القوية بين المدن الشمالية ومنها طرابلس والمدن السودانية، ودور ذلك في نشر الحضارة الإسلامية في عموم بلاد السودان[٣٤٦].

٢. **الرقيق:** وهي تجارة مهمة تأتي بعد تجارة الذهب من حيث الأهمية وكان تجارها يكسبون الإرباح الطائلة نظرا لتفاوت الأسعار ما بين سعر الشراء وسعر البيع في المغرب[٣٤٧]، وكان تجار السودان يبيعون الرقيق في ساحات جاو[٣٤٨] وغيرها، بعد جلبهم من المناطق الواقعة جنوب نهر النيجر، والتي يطلق عليها بلاد الملم[٣٤٩]، بأسعار رخيصة وبإعداد كبيرة[٣٥٠]، وكان تجار الشمال يتجهون بهم إلى مدنهم ومنها يصدرون إلى مختلف البلدان الإسلامية وكذلك إلى أوربا[٣٥١]، وكانت طرابلس بحكم موقعها على إحدى الطرق المؤدية إلى السودان الغربي مركزا لتجارة الرقيق الزنوج والبيض، ومنها كانوا يصدرونه إلى الأسواق الإسلامية[٣٥٢].

٣. **ريش النعام:** يدخل ريش النعام في الصناعات المنزلية كالارائل والوسائد والمقاعد فضلاً عن استخدامه في الزينة، وكان التجار يجلبونه بكميات كبيرة[٣٥٣]، أما بيض النعام فيدخل في صناعة الأدوية، كما هو مادة للزينة يعلق على جدران القاعة أو يوضع على الطاولة وكانت أسعاره عالية جدا في الأسواق الخارجية[٣٥٤].

٤. **العاج:** دخلت تجارة العاج إلى الشمال الإفريقي عبر السودان الغربي منذ قرون عديدة، فكان العاج متوفرا بكميات كبيرة في مدن السودان، وكان يصنع من العاج أواني الشرب والتحف لذلك فان العاج من السلع الكمالية المرغوب فيها في مدن الشمال الإفريقي وباقي المناطق الأخرى[٣٥٥]، والعاج على نوعين الأول يعرف باسم البرناوي نسبة إلى بورنود يمتاز بنعومة ملمسه وطواعيته وبياضه الناصع وسهولة تشكيله وتقطيعه، لذلك فهو غالي الثمن، أما النوع الثاني فيعرف بالسوداني الذي يكون أكثر صلابة وانحناءً واقل بياضا وهو يكثر في منطقة الهوسا[٣٥٦].

٥. كما تصدر سلع أخرى من مناطق الجنوب كمادة الصمغ التي يستخرج من شجرة تدعى آيروار وشجرة العلك أو الصمغ العربي، والصمغ سلعة تجارية مهمة، وكانت تصدر إلى مدن الشمال الإفريقي بكميات كبيرة[٣٥٧]، ويصدّر كذلك إلى تلك المدن التبغ وتمور الكور والتوابل كالفلفل الأحمر والفول السوداني والقطن والذرة والرز وغيرها[٣٥٨].

٣. أوربا وصقلية:

تطورت العلاقات بين مدن المغرب العربي والدول الأوربية في العصر الوسيط وذلك لوجود البحر بينهما والذي ساعد على دعم تلك العلاقات.

تنوعت الواردات الأوربية إلى طرابلس وغيرها من مدن المغرب الأخرى، ويبدو للمدن الايطالية (جنوه والبندقية وبتيزا) النصيب الأوفر في تجارة ونقل تلك الواردات التي كانت تأتي بها من عموم القارة الأوربية، وتميز وجود جنوه منذ وقت في الموانئ العربية ومنها تونس وطرابلس وغيرها، إذ كانت في طليعة المدن المتاجرة مع مدن المنطقة، فقد كانت تصدر منتجاتها، فضلاً عن بضائع لمباردیا وفلاندرز وبلاد الشام والأندلس، إذ خلا البحر لها نتيجة المشاكل التي تعرض لها عموم مدن المغرب العربي[٣٥٩]، وصار دور جنوه دور الوسيط في نقل السلع، كما هو الحال بالنسبة لمدن شمال أفريقية في القرنيين الثالث والرابع الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، وأهم السلع التي تنقلها جنوه الفساتين والأقمشة الكتانية والحرير والسجاد ومواد الصباغة كالزعفران واللك[٣٦٠] والتيلة والأحجار الكريمة والتوابل (وبخاصة التوابل) والنحاس والورق وملح النشأدر[٣٦١] والمسك والميروبالان[٣٦٢] والعطور والتين المجفف[٣٦٣] فضلاً عن الأخشاب المقطوعة من غابات الستراباد وغابات دواخل بلاد البنادقة، وكذلك الأسلحة الواردة من لومباردية وغيرها من المراكز في شمال ايطاليا فضلاً عن الرقيق الذي كان يستولي عليه البنادقة عند السواحل ولم تسلم السواحل الايطالية من قنص البنادقة، ونستخلص من وثيقة لكاتب عدل حول علاقات تاجر طرابلسي يدعى أبو يحيى ومراسله في جنوه ويسمى (افيكو زوسترو) إذ تسلم الأخير من المال وكان عليه أن يحوله إلى شقيق أو ابن أبي يحيى الموجود بصقلية لدواعي العمل، إلا إن قيام بعض

الصعوبات حالت دون تسليم المال، فأرسل التاجر الجنوي لتسديد المبلغ ست قناطر من النحاس (٦٥٠كغم) لدفع ثمنها إلى التجار الطرابلسي[٣٦٤]، ومما تقدم يبدو لنا مدى العلاقات التجارية قوة واستمرارها بين الطرفين، كما يوضح مدى رقي المعاملات التجارية وتطورها والثقة المتبادلة بين الطرفين.

وكانت صقلية تصدر إلى طرابلس وغيرها من مدن المغرب المواد الغذائية كالجوز واللوز والقطن والقمح الذي يُعد المصدر الوحيد لأفريقية في سنوات القحط فضلاً عن الميعة الطيبة السائلة وهي من أعظم الأدوية، إلى جانب السكر[٣٦٥].

أما الأندلس فقد كانت تصدر الكثير من السلع التي تصل إلى مناطق كثيرة إلى بلاد الشام والعراق وغيرها من المناطق، وبالتأكيد كان للمغرب نصيب كبير من تلك الصادرات والتي تختلف في قيمتها بين منطقة وأخرى، ولكن يبدو إن الصناعات الأندلسية لها نصيب وافر في طرابلس وباقي مدن المغرب الأخرى، ومن تلك الصناعات صناعة الكاغد الذي يعمل بمدينة شاطبة[٣٦٦]، فضلاً عن السفن في طرطوشة[٣٦٧] ودانية[٣٦٨]، كما تصنع بغربي شاطبة ثياب بيض تباع بأثمان عالية إذ يعمر الثوب سنين عديدة، وكان للحرير مكانته في الصادرات الأندلسية والذي كان يجمع من قرى عديدة حيث تربى دودة الحرير، أما زيت الزيتون فكان من اشبيلية وكذلك التين الذي اشتهر بكونه أحسن التين طيبا وعذوبة[٣٦٩].

ويبدو إن السلع التي كانت تصدر لعموم الجهات ومنها مدن المغرب طرابلس وسوسة وصفاقس ... الخ، وقسم من هذه السلع تأتي لأسواق طرابلس في حين تأتي القسم الآخر لتصدر من طرابلس إلى مدن بلاد السودان.

صادرات طرابلس :

١. الجنوب الإفريقي:

اختلفت السلع المصدّرة من الشمال إلى مناطق الجنوب الإفريقي باختلاف الاحتياجات وحركة الطلب عليها، على انه لابد لهذه السلع أن تتوفر فيها مميزات أو خصائص خاصة نذكر منها[٣٧٠]:

١. يجب إن تتوفر هذه السلع وبأسعار رخيصة في أسواق حوض البحر المتوسط، فتجار طرابلس وغيرها من مدن المغرب لا تتوفر لديهم إمكانية الحصول على هذه السلع من مناطق بعيدة وبأسعار غالية، لذلك اعتمدوا على أسواق تونس والإسكندرية لتوفير بعض السلع.

٢. نقل البضائع بواسطة الجمال، يقتصر على بعض السلع التي يمكن حزمها على ظهور الجمال والتي تتحمّل مُدد سفر طويلة ومناخ حار، لذلك لا يمكن نقل السلع السريعة التلف.

٣. إن تأتي هذه السلع عائدا مجزيا، بحيث تغطّي تكلفة الجهد المبذول من التاجر ومصروفات الرحلة التجارية.

أما أهم السلع التي كانت تنقلها القوافل التجارية إلى المناطق الجنوبية فهي[٣٧١]:

١. **المنسوجات:** كانت حاجة المدن الأفريقية للمنسوجات القطنية والصوفية واضحة، فقد كانت تأتيها من منافذ كثيرة، وكانت لطرابلس دور واضح في نقل المنسوجات المحلية وحتى الأوربية حيث كانت تباع في جاو[٣٧٢] وغيرها بأسعار مرتفعة، فمثلاً يباع القماش المعروف بـ(المتشيو) و(المينمو) بخمسة عشر مثقال من الذهب، أما القماش البندقي الرفيع كالقرمزي والبنفسجي والأزرق فيصل سعره إلى أسعار مرتفعة[٣٧٣] عن أسعار المنشأ، نظراً لظروف النقل البحري ثم البري وما يتبعه من ضرائب ومصاريف القوافل الأخرى، كما اشتهرت كذلك بتجارة اللباس المغربي الذي كان غالي الثمن ولا يلبسه إلا الطبقات العليا[٣٧٤].

٢. **الأدوات الحديدية** مثل القدور والسكاكين والإبر والمصنوعات النحاسية المصنوعة في أوربا.

٣. **الورق والكتب** التي بدا الطلب عليها في تلك المناطق التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية تأثرا كبيرا.

٥. **الملح** الذي يعد من السلع المهمة المصدرة إلى مناطق الجنوب السوداني، إذ كانت القوافل تخرج من طرابلس وفاس والقيروان وغيرها بالملح متجه إلى جاو وغيرها من مدن الجنوب لتستبدل هناك بالذهب وباسعارمرتفعة[٣٧٥]، في الوقت نفسه كانت حاجة المناطق الأخرى إلى الملح تزداد يوماً بعد آخر.

٦. **المواد الغذائية** مثل السكر والشاي الصيني والعطور الأخرى وغيرها.

٧. كما وتوجد سلع أخرى كانت تصدر من مدن الشمال ومنها حيوانات الركوب ومن أهمها الخيول والبغال، والتي تضاعفت أثمانها لاستعمالاتها المتعددة سواء في السلم أو في الحرب، فضلاً عن أهميتها في النقل، وكذلك المصنوعات الجلدية كالسروج والالجمة والروائح العطرية ومواد الصباغة، وغيرها وهي مواد نستبعد إن تكون مناطق السودان والجنوب الإفريقي تستوردها، وهي التي عرف عنها جودة صناعاتها الجلدية.

٢. مصر :

ارتبطت طرابلس بعلاقات تجارية مع مصر، إذ تبادلت السلع بين الطرفين، وتأتي تجارة المنسوجات على رأس السلع المغربية التي كانت ترد مصر وباقي مدن المغرب الأخرى، على الرغم من تقدم صناعة المنسوجات في مصر، فقد كانت الفوط الحمراء وجباب الخز تأتي من طرابلس التي انتشرت بها هذه الصناعة فضلاً عن اجدابية[٣٧٦] وغيرها، فضلاً عن سلع أخرى، ومنها المواد الغذائية التي كانت تنتج بكميات تزيد عن الحاجة المحلية كالحبوب والزيتون والزيت والسن والحيوانات وغيرها إذ كانت لها رواجا كبيرا في مصر[٣٧٧]، وبالتأكيد كان ينقل من المواد الغذائية ما كان يتحمل أيام السفر دون إن يتعرض للتلف.

أما الرقيق فقد ظلت مصر سوقا رائجة لتجارته في العصور الوسطى، وكان الإقبال على اقتنائهم شديدا سواء من قبل الأهالي أو حكام البلاد[٣٧٨]، وكان لموقع طرابلس على رأس الطرق المؤدية إلى بلاد السودان دوره في جعلها مركزا لتجارة الرقيق للأسود والأبيض معا، إذ يرسلون منها إلى أسواق الشرق الإسلامي[٣٧٩]، والواقع ساعد عامل البذخ والترف وانتشار الثراء في العصر الفاطمي على الاستكثار من هذه التجارة، فقد أكثرت أم المستنصر من استجلاب السود حتى بلغ عددهم خمسين إلف[٣٨٠]، والسبب في ذلك إن أم المستنصر كانت جارية سوداء فاردات الاستكثار من أبناء جنسها واشترتهم من كل مكان[٣٨١]، فضلاً عن ذلك فان بعض الأسر المصرية كانت تعد العبيد من بين بعض ممتلكاتها[٣٨٢]، ولهذا كان سوق الرقيق من الأسواق الدائبة الحركة والنشأط في العصر الفاطمي، فقد كانت أجناس متعددة من العبيد، ولكن العدد الأكبر كان من السود الذين يجلبون من بلاد النوبة[٣٨٣]، كما كان الذهب من السلع المهمة المستوردة من طرابلس وباقي مدن المغرب العربي، نظرا لاستخدامه في السكة خاصة وان الدينار الفاطمي حافظ على نقاوته طوال عهد الفاطميين، واستمرت نسبة الذهب فيه ٩٨%[٣٨٤]، ولعل مرد ذلك إلى الثروة الذهبية التي جلبها جوه الصقلي والخليفة المعتز من بعده[٣٨٥].

وتأسياً على ما تقدم نقف على حالة الرخاء والازدهار التي كانت عليه مدن المغرب العربي ومنها مدينة طرابلس، والنشأط التجاري[٣٨٦] الذي ترتب عليه قيام مراكز تجارية هامة على الساحل مثل طرابلس وصفاقس وسوسة وقابس ... الخ، فضلاً عن المراكز المهمة التي كانت تقع على الواجهة الصحراوية وتمد حركة التبادل التجاري، بسلعتين ثمينتين من سلع العصر وهما الذهب والرقيق[٣٨٧]، وعليه فان طرابلس كانت مصدرة لمنتجاتها من ناحية والمنتوجات المناطق المجاورة من ناحية أخرى فضلاً عن كونها مصدر مهماً لمنتجات بلاد السودان بحكم موقعها على نهاية الطرق التجارية القادمة من بلاد السودان ما نوهنا سابقا.

٣. أوربا وصقلية:

تُعّدّ طرابلس وغيرها من مدن المغرب مركزا للسلع القادمة من مدن السودان وسلع المغرب المتجه إلى مصر وبالعكس، فضلاً عن منتجاتها، ويتقدم تلك الصادرات الإنتاج المحلي وخاصة موارد تربية الحيوان والزراعة، هذا إلى جانب الصادرات المهمة التي يتصدرها الصوف المغسول أو الذهنية التي يشتد الطلب عليه من مصانع الأصواف التي بدأت تتطور شيئا فشيا، إذ تصدر الأصواف والجلود في الغالب من تونس وطرابلس وغيرها، كذلك كان القمح وبعض الحبوب

الأخرى هو مادة رائجة للتصدير نحو المدن الايطالية في السنوات التي تشّتد فيها الحاجة، واشترطت المعاهدات منح الإذن بتصدير القمح عندما تقوم ظروف خاصة، وفي مناسبات أخرى كثيرة جرى استيراد القمح خصوصا من صقلية، كما يبرز زيت الزيتون من المنتجات الزراعية المصدرة وذلك لكثرة إنتاجه(٣٨٨).

تّصدر طرابلس إلى صقلية زيت الزيتون وهو يأتيها إما مباشرة أو عن طريق القيروان التي تستورده من طرابلس وغيرها من المدن الأخرى وتصدره إلى صقلية(٣٨٩)، ويبدو إن صقلية كان الطلب فيها كثيرا على زيت الزيتون لأنها لم تكتف بتجارته مع القيروان إذ تعتبر مركزا لتجارته، بل كان تجار صقلية يتجهون إلى صفاقس للتجارة به(٣٩٠)، وربما هذا الشيء للتخلص من احتكار التجارة وذلك باعتمادها على أكثر من منفذ، على العموم يبدو إن واردات صقلية من مدن المغرب كانت كثيرة، وهذا ما ذكره ابن حوقل، ولكنه لم يحدد نوعية تلك السلع المستوردة نحو قوله: ((وجميع ما تقع إليه الضرورات وتدفع الحاجة إليه من وسائل الطلبات مجلوب إلى بلدهم ومحمول إلى جزيرتهم ...)) (٣٩١).

لا بد من الإشارة الى إن الأسواق بأنواعها وتخصصاتها شيء ملازم لعمليتي البيع والشراء، وزخرت طرابلس العرب وما حولها في المدة التي نحن بصددها بالأسواق المتخصصة وأهمها: سوق الحرير، و سوق الصياغة و سوق السراجة و سوق الأحذية و سوق الخبزة سوق العطارة و سوق الدباغة و سوق السمك و سوق وقف الغنم، أما الأسواق الموسمية فهي الأسبوعية أو والعامة(٣٩٢).

النتائـــج:

يرجع نسب أسرة بني خزرون إلى قبيلة زناته، إذ استطاع احد أبنائها إن يستغل الوضع العام في طرابلس وان يحكمها للمدة من (٣٩١-٥٤٠هـ/١٠٠٠-١١٤٦م)، وخلال تلك المدة، كان عهدهم من العهود الجديدة في الاستقلال بالرأي وعدم التبعية للقوى المجاورة وحملتهم هذه السياسة عداوة الإطراف المجاورة ومنهم الصنهاجيين لاسيما في عهد أميرهم الأول فلفل بن سعيد، واستمر الحال على هذا المنوال إذ اتجه خلفاء فلفل إلى تأكيد هذا لاستقلال حتى من خلال أتباع مذهب مغاير لمذهب الدولة الفاطمية مما جعل الأمور تتعقد وتتجه إلى الصدامات المسلحة، ومع هذا استطاعوا إن يتغلبوا على الصعوبات التي كانت تتمثل بالدولة الفاطمية والدولة الزيرية فضلاً عن الأمويين في الأندلس، وساروا بسياسة جعلتهم يكسبون الجميع إلى جانبهم، وظلوا كذلك حتى تمكنت أسرة بني مطروح من طرابلس من السيطرة على زمام الأمور في طرابلس عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م.

ازدهرت الحياة الفكرية في المدة التي نحن بصددها والفترات اللاحقة، وهي دون شك امتداد للمدة السابقة، وكان لموقع طرابلس المتوسط ما بين الشرق والغرب من ناحية، ورغبة أهلها في التعلم من ناحية أخرى قد ساهم في تطور المنطقة، وكانت موسسات التعليم المتنوعة من مساجد ومدارس فضلاً عن حلقات الشيوخ والعلماء الزائرين إليها، وهم أما المتجهين إلى المشرق لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم فتحضى مدينة طرابلس وما حولها بالاستفادة من خبرات هؤلاء، أو المتجهين إلى بلاد المغرب أو للأندلس، إذ كانت لحلقاتهم العلمية الأثر الكبير في رفد طلاب العلم بالمعلومات الواسعة والتي أغنت كثيراً من أهل طرابلس من مشقة الرحلة في طلب العلم، ولا بد من الإشارة إن الذي يطغى على العلوم في طرابلس هي العلوم الدينية ثم اللغوية والأدبية فالتاريخية بينما نجد العلوم الصرفة قليلة إذا ما قورنت بالعلوم الدينية.

أما الحياة الاقتصادية، فهي كما معروف تنقسم إلى (زراعة، صناعة، تجارة)، فقد عرفت طرابلس وما حولها على عدد غير قليل من المحاصيل الزراعية أبرزها القمح والشعير وغيرها من المحاصيل، فضلاً عن الفواكه التي تعددت أنواعها بفضل مناخ طرابلس وما حولها والذي ساعد على تنوع المنتجات الزراعية التي كانت تسد الحاجة المحلية ويصدر الفائض، وإلى جانب ذلك كان أهل المنطقة يمتهنون حرفة الرعي وتربية الحيوانات والتي يتقدمها سفينة الصحراء الجمال ثم الأبقار والأغنام وغيرها، إلى جانب الثروة السمكية إذ كان لموقع طرابلس على البحر أثره الواضح في تنشيط حرفة الصيد ولو أنها

كانت لسد الحاجة المحلية، أما الصناعة فقد تميزت بكونها تقليدية يدوية في اغلب الأحيان مع اعتمادها على المواد الأولية المحلية وأهمها هي صناعة الأنسجة الصوفية والقطنية والحريرية الى جانب الصناعات الجلدية وغيرها التي يتم بها سد الحاجة المحلية ثم يصدر الباقي، أما التجارة فقد كانت رائجة في طرابلس وما حولها نتيجة موقعها إذ كانت تتوسط الطريق من مصر إلى الطريق الأقصى، كما وهي تقع على نهاية وبداية إحدى الطرق إلى جنوب القارة، والشيء نفسه بالنسبة إلى البضائع القارة الأوربية، إذ كانت تستقبل البضائع القادمة من بلاد السودان الغربي وتعيد تصديرها إلى مصر والقارة الأوربية، وينطبق هذا على النسبة للبضائع الأوربية والشرقية القادمة من البر أو البحر، وربما هذا الشيء جعلها تعتمد على التجارة أكثر من اعتمادها على الزراعة والصناعة، ومع ذلك فإنها استغلت الاراضي الزراعية أحسن استغلال وكانت تصدر الفائظ عن الحاجة فضلاً عن صناعتها المتنوعة.

الهوامش والمصادر:

[1]. هو المعز لدين الله أبو تميم معد (٣٤١-٣٦٥ هـ) وصل مصر سنة٣٦٢هـ ولم يمكث سوى سنتين ونصف ولكنه استطاع أن يقوم بإصلاحات كثيرة، لما يتمتع به من شخصية قوية. ينظر: المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد(ت٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، نشر: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ١٣٧/١؛ العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٧٧.

[2]. مدينة على ساحل البحر الرومي (الأبيض المتوسط) بين برقة وطرابلس الغرب، ومن الجنوب في البر اجدابية منها يقصد إلى طرابلس الغرب. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله(٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م، ٢٠٦/٣.

[3]. بلدة بين برقة وطرابلس الغرب، وهي مدينة كبيرة في الصحراء وفيها آبار كثيرة. ينظر: الحموي، معجم، ١٥٥/١.

[4]. وهو بكين بن زيري بن مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر، عيّن من قبل المعز نائبا له على أفريقية فأصبح بذلك الزعيم الصنهاجي، وأعطاه الخليفة اسما عربيا إسلاميا هو (يوسف) وكنيه عسكرية هي (أبو الفتوح) ولقبا مدنيا هو (ناصر الدولة) أي دولة الخلافة، استطاع تكوين آسرة ملكية توارثت الحكم. ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ١٥٥/٦؛ عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، القاهرة، ١٩٩٠م، ٢٩٢/٣-٢٩٣.

[5]. وهو من قادة كتامة ولاه المعز طرابلس وسرت وبرقة سنة ٣٦٢هـ وهو آخر والي لطرابلس من الفاطميين. الزاوي، الطاهر أحمد، ولاة طرابلس، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٤.

[6]. أسهمت كتامة بنشاط كبير في إقامة الخلافة الفاطمية في أفريقيا وكان سكن اغلبهم في الجزائر في حين تحرك البعض منهم إلى هنا وهناك وذلك أثناء السيادة الفاطمية. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي المكرم(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٧٩م ، ج٨/ص٤٠؛ روسي، أتوري، ليبيا منذ الفتح حتى سنة١٩١١م، تعريب: خليفة محمد التليسي، بيروت ،١٩٧٤م ، ص٧٤؛ الكمالي، إسماعيل، سكان طرابلس الغرب، تعريب: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٧م، ص٢٤.

[7]. عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٢٨١/٣. ومعنى هذا إن جميع ليبيا (عدا نفوسة) أصبحت تابعة لمصر لأول مرة، بعد أن كانت برقة وحدها هي الداخلة ضمن نفوذ الوالي في الفسطاط. عباس، إحسان، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، د.ت، ص.١١٧

[8]. ابن الأثير، الكامل، ٦٦٥/٨؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣٠٦/٣-٣٠٧.

٩ . باديس بن منصور بن بكين، تولى إمارة أفريقية سنة ٣٨٦هـ، قد تمتع بولاية العهد منذ سنة ٣٨٢هـ. ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب، نشر: إحسان عباس، بيروت، د.ت، ٢٤٧/١ وما بعدها؛ وينظر الزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح في ليبيا، ط٣، دار الفتح، بيروت، ١٩٧٢م، ص٢٦٥؛عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٦./٣

٩ . بني زيري: يعودن الى مناد بن منفوس بن صنهاج وهم ممثلوا صنهاجة في أفريقية في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري وعلى يدهم ظهرت الشهرة الصنهاجية حيث ناصر بكين بن زيري المنصور الفاطمي في حربه مع أبي يزيد، ثم تعين بكين (يوسف) بن زيريين مناد حاكما على افريقية، وهو أول شخصية مغربية تولت الحكم بصورة شرعية، ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٦م، ج٦/ص١٨٣؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٢٩٢./٣

10 . فلفل بن سعيد بن خزرون استطاع من استغلال الصراع بين الزيريين والفاطميين لصالحه وتمكن من الاستيلاء على حكم طرابلس سنة٣٩١هـ/١٠٠٠م. ابن عذارى، البيان، ٣٧٠/١ وما بعدها؛ روسي، ليبيا، ص٧٧؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧٠.

[٢] – عامل بكين على طرابلس بدل عبد الله بن يخلف وهو من مواليه. الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٦٤. وهو الذي خلف يحيى بن خليفة المليانى الذي حكم المدينة عدة أشهر فقط. عباس، تاريخ ليبيا، ص١١٧.

[٣] – الحاكم بأمر الله أبو علي منصور (٣٨٦–٤١١هـ) من الشخصيات التي اختلف فيها أراء المؤرخين حيث ذكروا له صفات متضاربة ومتناقضة يقول ابن تغري بردي ((أن الحاكم متضاد جمع بين الشجاعة والأحجام وبين الجبن والأقدام...)). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، ١٩٢٩–١٩٥٢م، ١٧٦/٤؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٨٤.

[٤] – يانس الصقلي عينه الحاكم بأمر الله على برقة وهو بالأصل خادم من خدمة الخليفة العزيز بالله الفاطمي. الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٦٥؛ ولاة طرابلس، ص٧٩.

[٥] – برقة مدينة ليبية قديمة تقع في الجنوب الشرقي من بنغازي واشتهرت بخصوبة أرضها. انظر الحموي، معجم، ٢٨٨/١؛ الزاوي، تأريخ الفتح، ص٣٩.

[٦] – ابن الأثير، الكامل، ١٥٤/٩؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٨/٣.

[٧] – جعفر بن حبيب أرسله باديس لحصار طرابلس وارتحل جعفر هارباً عنها واتجه إلى قابس. الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧١.

[٨] – جنزور: قرية كثيرة الأشجار، وأكثرها شجر الزيتون فضلاً عن النخيل وقيل ان رطبها متناهي الطيب، ومياها عذبة وهي كثيرة القصور وتقع في الإقليم الغربي لطرابلس الغرب، التجاني، رحلة، ص١٨٥، ص ص٢١٤–٢١٥؛ روسي، ليبيا، ص٩٧ وص١١١.

[٩] – التجاني، أبو محمد عبد الله بن أحمد، رحلة التجاني، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، د.ت، ص ص١٨٢–١٨٣؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١١٩.

[١٠] – البرغوثي، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي، دار صادر، بيروت، د،ت، ص٢٣٤.

[١١] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٣٧/٢؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٨/٣.

[١٢] – ابن عذارى، البيان، ٢٥٦/١؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٨/٣.

[١٣] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٥٢/٢؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٩/٣.

[١٤] – شرف الدين، لمياء محمد سالم، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية في القرن الخامس الهجري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العظمى، ١٩٩٩م، ص٢١٣.

[١٥] – ابن الأثير، الكامل، ١٧٧/٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٥٦/١؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣١٩/٣.

[١٦] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٠٠/١ وكذلك في نفس المعنى، ١٩٩/١.

[١٧] – ابن عذارى، البيان، ٢٧٠/١؛ روسي، ليبيا، ص٧٧ ؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧٠؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣٢٠/٣.

[١٨] – يذكر ابن عذارى إن زيدان الصقلي أرسل لحكم طرابلس قبل أن يرسل يحيى الأندلسي، البيان، ٣٧٨/١.

[١٩] – مدينة قديمة من مدن المغرب اشتهرت بخصوبة أرضها وجودة حريرها. عنها انظر الحموي، معجم، ٢٨٩/٤؛ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز(٤٨٧هـ)، المغرب في ذكر بلاد أفريقية، بغداد، ب،ت، ص١٧.

[٢٠] – ابن عذارى، البيان، ٢٥٦/١.

[٢١] – روسي، ليبيا، ص٧٧؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧١.

[٢٢] – أبو ركوة هو الوليد بن هشام بن المغيرة بن عبد الرحمن الداخل، بدأ سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٠م بالاستيلاء على برقة. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد(ت٥٥٥هـ)، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ص٦٥-٦٦.

[٢٣] – عباس، تاريخ ليبيا، ص١٢٩.

[٢٤] – جلس محمد المهدي على كرسي الخلافة الأموية سنة ٣٩٩هـ بعد انقلابه المدبر على الدولة العامرية والخليفة المؤيد وبذلك قضى على ازدواجية السلطة بين الخليفة وسلطة الحاجب. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣/٧٤؛ المعاضيدي، خاشع، تاريخ الدولة العربية في الأندلس، بغداد، ١٩٨٨م، ص ص١٣٣-١٣٤.

[٢٥] – ابن عذارى البيان المغرب، ٧٨/٣ ؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٠.

[٢٦] – ماركس بن زيري عم والد باديس وهو كغيره من أبناء زيري كانوا يضمرون الحقد والبغضاء لباديس. عن ذلك ينظر: ابن، الأثير، الكامل، ج٩/ص١٥٣ وما بعدها؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣٦٤/٣ وما بعدها.

[٢٧] – بنى زيري هذه المدينة سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م في موضع فسيح حيث تشرف على سهول التل الغربية ومنطقة الجبال الشرقية في جنوب شرق الجزائر العاصمة. الحموي، معجم، ٢٨٦/١-٢٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ١٢٤/٨؛ العربي، إسماعيل، بنو زيري بين أشير والقيروان، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد ٢١، ١٩٧٤م، ص٨١ وما بعدها.

[٢٨] – انتهت هذه الحرب بمقتل ماركس وثلاثة من أولاده وهم (محسن وباديس وحباسة) وهي الكارثة التي اعتبرها الكّتاب نذير شؤم على الحليف أبناء زيري. ابن الأثير، الكامل، ١٥٤/٩؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٩/٧.

[٢٩] – ابن الأثير، الكامل، ١١٧/٩؛ ابن عذارى، البين المغرب، ٢٥١/١ وما بعدها .

[٣٠] – ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٥٦/١-٢٥٨؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣٢٠/٣.

[٣١] – عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣٢٠/٣.

[٣٢] – الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧٠.

[٣٣] – ابن عذارى، البيان المغرب، ج١/ص٣٧٠ وما بعدها؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٠.

[٣٤] – ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٧٢/١-٢٧٣؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٠.

[٣٥] – محمد بن حسن عامل باديس على طرابلس بعد استسلام وروا. عنه ينظر: أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لندن، ١٩٨٤م، ص٩٧؛ الزاوي، تاريخ ليبيا، ص٢٧٥.

[٣٦] – بنى القائد عقبة بن نافع القيروان لتخدم حركات التحرير والفتوح الإسلامية في بلاد المغرب، على غرار المدن الإسلامية الأخرى التي شيدها قادة الفتح مثل البصرة والكوفة والفسطاط، وجاء هذا الاختيار بعد إن استشارة أصحابه ومعظمهم من صحابة رسول الله(ص). عنها ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٢٠؛ ابن الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت٦٩٦هـ)، معالم الأيمان في معرفة القيروان، تحقيق: إبراهيم شيوخ، القاهرة، ١٩٦٨م، ١/٨؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم(ت٧٢٧هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٨٦.

[٣٧] – وهي المدينة التي أسسها عبيد الله المهدي لتكون معسكرا لجنده وعاصمة لدولته، وهي مشهورة بالكثير من الصناعات، عنها ينظر: الحموي، معجم، ٥/ ٢٢٩ وما بعدها.

[٣٨] – ابن عذارى، البيان، ١/٢٧٢-٢٧٤.

[٣٩] – انظر،عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣/٢٨١، ٣٢٢.

[٤٠] – يبدو إن المعز اختلف مع محمد بن الحسن لأمور أنكرها عليه منها استأثر لنفسه ببعض الجبايات. ينظر: الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧٨؛ البرغوثي، تاريخ ليبيا، ص٢٤٢.

[٤١] – ابن خلدون، العبر، ٧/٨٨؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣/٤٤٧.

[٤٢] – الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٧٨.

[٤٣] – الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) تولى الحكم بعد اختفاء أبيه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٤/٢٥٢؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٩٤.

[٤٤] – ابن خلدون، العبر، ٧/٨٨؛ روسي، ليبيا، ص ص٧٨-٧٩؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص ص٢٧٨-٢٧٩؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٣/٤٤٧.

[٤٥] – سيعرف فيما بعد في موضع الفقه.

[٤٦] – التجاني، رحلة، ص٦٥-٦٦؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٣.

[٤٧] – وقيل إن سعيد قتل على يد عرب زغبه الهلالية وهذا ما يشكك به ابن خلدون على اعتبار إن زغبه من العرب الهلاليين الذين رحلوا من مصر إلى أفريقية بعد سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، ولهذا لا يكون وجودهم في طرابلس سنة ٤٢٩هـ، إلا أن تقدمت إحدى أحياءهم من قبل ذلك مثل قرة الذين قدموا مع بني يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي، ابن خلدون، العبر، ٧/٨٩.

[٤٨] – ابن خلدون، العبر، ٧/٨٩ ؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٤.

[٤٩] – أبو الحسن علي بن محمد المنمر ولد بطرابلس سنة ٣٤٨هـ ونشا بها وحفظ واخذ عن جماعة من المشايخ بها ورحل إلى المشرق وحج في عامه ولقي الشيخ أحمد بن زريق البغدادي ، واخذ عنه وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ثم عاد إلى طرابلس ودعا إلى الله وقرر العلوم الشرعية أصولا وفروعا وكان رحمه الله من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاًء. عنه ينظر: أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا، د.ت، ص١٠١.

[٥٠] – روسي، ليبيا، ص٧٩؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص ص٢٨٠-٢٨١.

[٥١] – كما تقدم خزرون بن سعيد تناصره صنهاجه، وكان أخوه وروا بن سعيد ثائرا ضدهم، ويبدو تفرقهم كان سبب في انتصار المنتصر وتمكنه من دخول طرابلس. الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٨١٠.

[٥٢] – وهي قرية من قرى مسلاته. ابن خلدون، العبر، ٧/٨٩؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٨١.

[٥٣] – ابن عذارى، البيان المغرب، ٤٢٦/١؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٥.

[٥٤] – ابن الأثير، الكامل، ٢١٧/٩؛ العبادي، أحمد مختار، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العددان ١–٢، مدريد، ١٩٥٧م، ص٢١٨.

[٥٥] – كان قدوم بني هلال وبني سليم من مصر في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على اثر القطيعة التي حدثت بين صاحب أفريقية الأمير الزيري المعز بن باديس وبين الخليفة المنتصر الفاطمي في مصر، وبعد الهزيمة الكبرى التي ألحقها الهلالين بجيش المعز بن باديس في وقعة جبل حيداران سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، سرعان ما اجتاحت قبائلهم سائر أفريقية، وأقاموا رؤسائها إمارات مستقلة لهم في قابس وصفاقس والقيروان وباجة وقرطاجة وبنزرت، إما المعز بن باديس فقد انتقل من القيروان الى المهدية ولم تعد سلطته تتجاوز الشريط الساحلي القريب منها. ابن الأثير، الكامل، ج٩/ص٥٦٦؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ج٣/ص٤٢١؛ الطيبي، أمين، بنو هلال ودورهم في الجهاد في أفريقيا والأندلس، مجلة البحوث التاريخية، العدد ١، ١٩٨٥م، ص٩٧.

[٥٦] – هو أبو محمد اليازوري تولى الوزارة في مصر خلال خلافة المستنصر ولمدة تسع سنوات (٤٤٢–٤٥٠هـ) اظهر كفاءة ممتازة في معالجة الأزمات السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها مصر في تلك المدة، ولكن كانت علاقته مع المعز غير جيدة. عن ذلك ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق آخر للدكتور أحمد المختار العبادي حول الدولة الزيرية بعد استقلالها، منشور ضمن بحث سياسة الفاطميين للدكتور أحمد مختار العبادي، مجلة دراسات إسلامية، المجلد الخامس، العدد١–٢، مدريد، ١٩٥٧، ص٢٢١.

[٥٧] – ابن الأثير، الكامل، ٥٥/٨.

[٥٨] – لما اجتاحت القبائل العربية بلاد أفريقية خرج إليهم المعز بن باديس بكل جيوشه وعدته، فهال العرب منظرهم وقالوا لقائدهم مؤنس بن يحيى: أين نطعن هؤلاء ولبسوا المغافر والكزغندات: فأجابهم (في أعينهم) ولهذا سمي هذا اليوم بيوم العيون. ابن خلدون، العبر، ١٥/٦؛ العبادي، سياسة الفاطميين، ص٢١٩؛ وعن شرح المصطلحات (المغاقر، الكرغندات)، ينظر: المقريزي، السلوك، ٢٥٣/١ حاشية ٥.

[٥٩] – ابن الأثير، الكامل، ٥٩/٨؛ العبادي، سياسة الفاطميين، ص ص٢١٩–٢٢٠.

[٦٠] – بني حماد: أسرة مغربية تقطن المغرب الأوسط (الجزائر وتونس). ينظر: روسي، ليبيا، ص٨٤؛ إدريس، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ج٩٨/٢.

[٦١] – روسي، ليبيا، ص٨٤؛ الزاوي، تاريخ الفتح، ص٢٨٢؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ٤٤٨/٣.

[٦٢] – العبر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٥٢/٧.

[٦٣] – روسي، ليبيا، ص٨٥.

[٦٤] – عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٦.

[٦٥] – الزاوي، تاريخ ليبيا، ص٢١٣.

[٦٦] – البرغوثي، تاريخ ليبيا، ص٢٤٦.

[٦٧] – ابن عذارى، البيان، ٤٣١/١؛ البرغوثي، تاريخ ليبيا، ص٢٤٦؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٦؛ روسي، ليبيا، ص٨٥.

[٦٨] – الأفضل بن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي، كان وزير الخليفة المنتصر، كما شارك أباه من قبل عام ٥١٥هـ/١١٠٢م. ابن الميسر، تاج الدين محمد بن علي(٦٧٧هـ)، إخبار مصر، تحقيق: أيمن فواد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤٥؛ سيد، أيمن فواد، الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢١٩.

[٦٩] – النائب الأنصاري، المنهل العذب، ص١١٨؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣١.

[٧٠] – الزاوي، تاريخ ليبيا، ص٢١٤.

[٧١] –النائب الأنصاري، المنهل العذب، ص١١٩؛ البرغوثي، تاريخ ليبيا، ص٢٤٧؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص١٣٧.

[٧٢] – روسي، ليبيا، ص٨٥.

[٧٣] – مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العهد العثماني، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م، ٦٩٥/٢.

[٧٤] – رحلة، ص٢٥٤.

[٧٥] – المصدر نفسه، ص٢٤٧.

[٧٦] – المصدر نفسه، ص ص٢١٨–٢٢٠.

[٧٧] – عباس، تاريخ ليبيا، ص١٠٤.

[٧٨] – هوارة: وتعرف أيضاً أوريغة، وتضم عدة قبائل، نجد بقاياها في طرابلس الغرب متمثلة في بعض قبائل غريان ومسلاتة مثل المجاريس، وبنو تازة، وبنو خيار، وبنو الخطاب، وعكارة، ومسراتة، وورفل، وبنو ثابت، وبنو عمار. روسي، ليبيا، ص٥١ .

[٧٩] – وهو احد الفضلاًء من أهل طرابلس. التجاني، رحلة، ص٢٤٧.

[٨٠] – التجاني، رحلة، ص٢١٨.

[٨١] – الزاوي، أحمد الطاهر، معجم البلدان الليبية، ليبيا، ١٩٦٨، ص ص٣١٣–٣١٤.

[٨٢] – التجاني، رحلة، ص٢٤٦، ص٢٥٤.

[٨٣] – الزاوي، معجم البلدان، ص٢٥٤.

[٨٤] – المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٢٠.

[٨٥] – التجاني، رحلة، ص٢٣٧؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٣١٤.

[٨٦] – التجاني، رحلة، ص٢١٥؛ الزاوي، معجم البلدان، ص١٧٤.

[٨٧] – وينسب هذا المسجد للشيخ أبي نزار خطاب البرقي، الذي كان رجلاً صالحاً. التجاني، رحلة، ص ٢٤٨.

[٨٨] – كما يسمى مسجد الجدود وسمي بذلك لان إحدى جدات بني الأغلب هي التي بنته. التجاني، رحلة، ص٢٤٩؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٣١٢.

[٨٩] – كما سمي كذلك بمسد البارزي لسكنى البارزي، كما عرف بمسجد أبي عثمان بن سعيد الحساني لأنه كان ملازماً له. التجاني، رحلة، ص٢٤٩؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٣١٢.

[٩٠] – التجاني، رحلة، ص٢٤٩؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٣١٢.

[٩١] – دبور، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، دار الجلبي، القاهرة، د.ت، ٣٦٩/٣.

[٩٢] – رحلة، ص٢٥٢.

[٩٣] – وهي المدرسة التي بناه الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا. التجاني، رحلة، ص ص٢٥١–٢٥٢؛ الزاوي، معجم البلدان، ص ص٣٠٤–٣٠٥؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١١٥.

[٩٤] – رحلة، ص٢٥١–٢٥٢.

[٩٥] – وهي مدرسة أبي خصيب بن إبراهيم في قرية (تمصمص). الجيطالي، قناطر الخيرات، تحقيق: عمرو نامي، د.م، ١٩٦٥، ص٩٠ هامش ٢.

[٩٦] – ومنهن أم ماطوس التي درست في هذه المدرسة وهي أول امرأة ليبية تشترك في مدرسة الفتيان. الجيطالي، قناطر الخيرات، ص٩٠ هامش ٢.

[٩٧] – عمر، أحمد مختار، النشاط الثقافي في ليبيا، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، ١٩٧١م، ص١١٧.

[٩٨] . الرحيم، عبد الحسين مهدي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٥م، ص٦٢٤.

[٩٩] – يذكر الحموي إن نفوسة (جبال بالمغرب بعد افريقية ... وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام وبين القيروان ستة أيام) وهذا يعني أنها لطرابلس اقرب، ولهذا تعّد من ضواحي طرابلس. معجم البلدان، ٢٩٦/٥-٢٩٧.

[١٠٠] – دبور، تاريخ المغرب الكبير، ٣٩٥/٣-٣٩٧؛ عمر، النشاط الثقافي، ص ص١١٠-١١٢.

[١٠١] – دبوز، تاريخ المغرب، ٣٨٨/٣؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١١١؛ ومنها مكتبات القيروان وقتادة وتاهرت ومصر.

[١٠٢] – محمد بن عيسى البياني، مر بطرابلس في القرن الرابع الهجري، ولم تسعفنا المصادر عن مكان وجهته عندما مر بطرابلس، الجيطالي، قناطر الخيرات، ص٩٠.

[١٠٣] – عباس، تاريخ ليبيا، ص١٠٦.

[١٠٤] – رجل فاضل، زار طرابلس وعقد حلقات علمية فيها قرأ خلالها بعض تواليفه في العربية، واسمع شيئا من نظمه وروا عنه (المذهبة) لابن المناصف. عمر، النشاط الثقافي، ص١١٧.

[١٠٥] – ابن غلبون، محمد، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح: الطاهر أحمد الزاوي، ط٢، مكتبة النور، ليبيا، ١٩٦٧م ، ص ١٠٨؛ ينظر أيضاً: عمر، النشاط الثقافي، ص١١١.

[١٠٦]– عمر، النشاط الثقافي، ص١٢٩.

[١٠٧] – الأمام سحنون بن سعيد التنوخي قدم افريقية سنه ١٩١هـ تولى منصب القضاء في المغرب دون إن يتلقى عليه اجر وبقي فيه سنوات إلى إن مات سنه ٢٤٠هـ ويبدو انه نزل بمدينه اجدابيه فقد ذكر حمديس القطان انه سمع سحنون بن سعيد يقول: (سمع مني العلم سنه إحدى وتسعين ومائة أهل اجدابيه) ثم انتقل بعد ذلك إلى طرابلس فاتخذها مقاماً له مدة من الزمن. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم(ت٣٣٣هـ)، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن، تونس، ١٩٦٨م، ص١٨٦؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٣٠.

[١٠٨] – عمر، النشاط الثقافي، ص١٣٠.

[١٠٩] – مالك بن دينار ولد في البصرة سنة ١٣٠هـ وهو عالم محدث تلقى العلم من مالك بن أحمد وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي الأحنف وغيرهم. أبو العرب، طبقات، ص٥٤؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٣١.

[١١٠] – أبو العرب، طبعات، ص٥٤؛ عمر، النشاط، ص١٣١.

[١١١] – وهو الفضيل بن عياض، ولد في سمرقند ومات في مكة سنة ١٨٧هـ، كان رجلاً فاضلاً عابداً ثقة، قال عنه الخليفة هارون الرشيد ما رأيت من العلماء أروع من الفيصل. ابن غلبون، التذكار، ص٢٢٢، هامش المحقق.

[١١٢] –ابن غلبون، التذكار، ص٢٢٢ .

[١١٣] – الفارسي، أبو الحسن علي الحسن بن أحمد(ت٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، تصحيح وتعليق كمال مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ١٦/١.

[١١٤] – الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ١٤٧/١.

[١١٥] –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ١٣١٧/٢.

[١١٦] – محمد بن علي(١١٥٨هـ)، كشف اصطلاح الفنون، مصر، ١٩٦٣م، ص٣٧.

[١١٧] –الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد(ت١١١٧هـ)، إتحاف فضلاًء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ٦/١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون،١٣١٧/٢.

[١١٨] – أبو الحسن بن محمد يقول عنه التجاني (الشيخ الفقيه المشهور بفضله وعلمه). الرحلة، ص ص٦٥–٦٦؛ المصراتي، علي مصطفى، أعلام من طرابلس، د.م، ١٩٥٥م، ص١٩ وما بعدها.

[١١٩] – المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٢١.

[١٢٠] – أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي، توفي وهو في عمر (٨٥) سنة وكان يجتمع في نهاية الجامع في حلقته ويفتي في المسائل. النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١٠٤/١.

[١٢١] – النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١٠٤/١.

[١٢٢] – أبو جعفر أحمد بن عبد الله وهو من فقهاء الشيعة أصله من الكوفة، ثم انتقل مع جده إلى ليبيا وعاش ونشا بها ثم تنقل بين برقة وطرابلس وسكن فيها وفي المناطق المجاورة الى وفاته عام ٣٧٦هـ. عباس، أحسان ومحمد يوسف نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ليبيا، د.ت، ص٣١٥.

[١٢٣] – ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٤٠٥هـ، مادة (حدث).

[١٢٤] – الطريحي، محمد بن علي(ت١٠٨٥هـ)، جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال، تحقيق: محمد كاظم الطريحي، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت، ص١.

[١٢٥] – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت٦٦١هـ)، علم الحديث، تحقيق: موسى محمد، ط٢، منشورات عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٨.

[١٢٦] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النوري، تحقيق: عبد الوهاب اللطيف، القاهرة، ١٩٦٦م، ٤٠/١.

[١٢٧] – سورة الحشر، أية ٧.

[١٢٨] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢٣٧/١.

[١٢٩] – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٢٢٩/٨.

[١٣٠] –الطريحي، جامع المقال، مقدمة المحقق، ص١.

[١٣١] – يذكره التجاني أبو الحسين علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب بد الخطيب، رحلة، ص٢٥١ .

[١٣٢] كان هذا المسجد معروفا بسكن علي بن أحمد ابن الخصيب وكان عالماً فقيهاً زاهداً. التجاني، رحلة، ص٢٥١.

[١٣٣] – التجاني، رحلة، ص٢٥١؛ الزاوي، الطاهر أحمد، أعلام ليبيا، د.م، ١٩٦١م، ص٢٠٥.

[١٣٤] – عمر، النشاط الثقافي، ص١٤٢.

[١٣٥] – ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت٧٦٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، القاهرة، ١٣٥١هـ، ص٣٥؛ أحمد النائب، نفحات النسرين، تحقيق وتقديم: علي مصطفى المصراتي، ليبيا، د.ت، ص٧٠؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٤٣.

[١٣٦] – ذكره السيوطي اسمه محمد بن موسى بن أبي محمد بن موسى بن أبي محمد بن عبد المعرف بغية الوعاة، تحقيق: أبو الفضل، د.م، د.ت، ٢٥٤/١.

[١٣٧] – القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ٢/ ٢١٨.

[١٣٨] –ابن خلدون، عبد الرحمن (٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، ص٤٤٥.

[١٣٩] – كشف الظنون، ١٣٨/١.

[١٤٠] – ابن خلدون، مقدمة، ص٢٨٣.

[١٤١] – التهانوي، كشاف اصطلاح الفنون، ٣٨/١.

[١٤٢] – ويعرف بالحساني وهي نسبة إلى حسان أو حضور حسان لأنه كان ملازماً بها. التجاني، رحلة، ص٢٤٩؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٣١٢.

[١٤٣] – ويقع هذا المسجد خارج طرابلس، وكان يعرف بمسجد الجدة أو مسجد الجدود، وذلك لان إحدى جدات بني الأغلب قد بنته، ثم عرف فيما بعد بمسجد البارزي، لسكن أبي الحسن البارزي به، وعرف أخيراً بمسجد أبي عثمان سعيد الحساني. التجاني، رحلة، ص٢٤٩؛ الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص٣١٢.

[١٤٤] – أحمد النائب، نفحات النسرين، ص٧٩ وما بعدها؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٤٠.

[١٤٥] – بنى هذا المسجد احد فضلاًء مدينة طرابلس وأتم بنائه أبو محمد عبد الله الشعاب وذلك أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. التجاني، رحلة، ص٢١٨؛ الزاوي، معجم، ص٣١٣.

[١٤٦] – كان أبو نزار خطاب البرقي يزورها ويعتقد ببركتها. عمر، النشاط الثقافي، ص ص١٤٠–١٤١.

[١٤٧] – أحمد النائب، نفحات النسرين، ص٨١؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٤١.

[١٤٨] – أحمد النائب، نفحات النسرين، ص ص٧٨–٧٩؛ ولم تسعفنا المصادر عن ترجمته أكثر.

[١٤٩] – أحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ليبيا في كتاب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ليبيا، د.ت، ص١٤١؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٤١.

[١٥٠] – أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١٠٤/١؛ عمر، النشاط الثقافي، ص١٤٢.

[١٥١] – أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١٠٨/١.

[١٥٢] – المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٢٩ وما بعدها.

[١٥٣] – رحلة التجاني، ص٢٦٥.

[١٥٤] – التجاني، الرحلة، ص٢٦٥؛ المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٢١.

[١٥٥] – التجاني، رحله، ص ص٢٦٥–٢٦٦.

[١٥٦] – عمر، النشاط الثقافي، ص ص١٤٣–١٤٤.

[١٥٧] – التجاني، رحله، ص١٤.

[١٥٨] – المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٢٨.

[١٥٩] – السير، ص ص٢٦٤–٢٥٦.

[١٦٠] – أحمد النائب، نعمات النسرين، ص٧١.

[١٦١] – كشف الظنون، ١٥٥٦/٢.

[١٦٢] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٦.

[١٦٣] – المصدر نفسه، ص٥٤٦.

[١٦٤] – الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مصر، ١٣٠٦هـ، ص١٠٥.

[١٦٥] – ابن خلدون، مقدمة، ص٥٤٦.

[١٦٦] . الجرجاني، التعريفات، ص٣١.

[١٦٧] – ابن خلدون، مقدمة، ص٥٤٦.

[١٦٨] – عمر النشاط الثقافي، ص٢٥١.

[١٦٩] – من أقدم اللغويين الذين سمعنا عنهم الوافدين إلى المغرب الأدنى يونس بن حبيب البصري وهو من أكابر تجار البصرة وأخذ عن عمرو بن العلاء وحماس سلمه وأخذ عنه سيبويه وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي والقراء وكانت له حلقة في البصرة يقصدها طلبة العربية وفصحاء الإعراب والبادية. الانباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن(ت٥٧٧هـ)، نزهة الألباب قي طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء،١٩٨٥م ص٤٧ وما بعدها؛ وكذلك قتيبة الجعفي النحوي الذي كان من نحاة الكوفة وكبار أصحاب الكسائي واستقر في القيروان وعنه اخذ جماعة من أهل البلاد، عبد الوهاب، ورقات، ص١٤٨ وما بعدها.

[١٧٠] – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الخانجي، ١٩٥٤هـ، ص٢٦١؛ القفطي، أبناء الرواة، ١٤٢/٣ وقيل انه كان شاعراً أيضاً.

[١٧١] – القفطي، ابناه الرواة، ١٢١/٢. توفي بعد سنة ٣٦٦هـ.

[١٧٢] – ذكره السيوطي اسمه محمد بن موسى بن أبي محمد بن موسى بن أبي محمد بن عبد المعرف. بغية الوعاة، تحقيق: أبو الفضل، د.م، د.ت، ٢٥٤/١.

[١٧٣] – القفطي، أنباه الرواة، ٢/ ٢١٨.

[١٧٤] – نسبة إلى قبيلة لواته البربرية والتي تنقسم إلى فرعين أحداهما كان يقيم ي برقة ويتقدم نحو طرابلس حتى لبدة، والثاني باسم تفزاوة وتسكن جنوب قابس وقفصه. كمالي، سكان طرابلس، ص ص٢٤-٢٥؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص٤.

[١٧٥] – نسبة إلى جدابيا وهي بين بلاد برقة وطرابلس الغرب. الحموي، معجم، ١٠٠/١؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٢٠.

[١٧٦] – ألّف أبو إسحاق إبراهيم كتب كثيرة منها كتاب المتحفظ ونهاية المتلفظ وكتاب الأزمنة والأنواء وغيرها. عن ذلك ينظر التجاني، رحلة، ص ص٢٦٢-٢٦٤؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص ص٤-٥؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص ص٢١٣-٢١٦.

[١٧٧] – أنباه الرواة، ١٥٨/١.

[١٧٨] – رحلة، ص٢٦٢.

[١٧٩] – لم يصلنا من مؤلفات ابن الاجدابي سوى كتابيين هما كفاية المتحفظ وكذلك كتاب الأزمنة والأنواء، أما مؤلفاته التي وصلتنا منها سوى أسمائها فهي كتاب العروض وكتاب مختصر في علم الأنساب...الخ. للمزيد ينظر: التجاني، رحلة، ص٢٦٢ وما بعدها؛ عباس، تاريخ ليبيا، ص٢١٦.

[١٨٠] – وهو نسبة إلى مدينة برنيق على ساحل البحر المالح المغربي بين الإسكندرية وبرقة وهي إحدى المراس للمراكب الواردة من المغرب. عمر، النشاط الثقافي، ص٢٥٦.

[١٨١] – أنباه الرواة؛ ٣٢٣/٢.

[١٨٢] – الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٥م، ١٤٤/١.

[١٨٣] – ابن خلدون، مقدمة، ص٥٥٣.

[١٨٤] – التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ٢٠/١.

[١٨٥] – عبد الوهاب، ورقات، ص١٧٩.

[١٨٦] – معجم ،٤٠٤/١.

[١٨٧] – أنباه الرواة؛ ٣٢٣/٢.

[١٨٨] – الحموي، معجم ،٤٠٤/١.

[١٨٩] – عمر ، النشاط الثقافي، ص٢٥٦.

[١٩٠] – عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي. للمزيد ينظر: الحموي، معجم،٢٥/٤؛ أحمد النائب، نفحات النسرين، ص٧١.

[١٩١] – معجم، ٢٥/٤–٢٦.

[١٩٢] – ابن خلدون، مقدمة، ص٣٥٣.

[١٩٣] – إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص٢٢٧.

[١٩٤] – بلدة تقع شرقي طرابلس الغرب وصفها التجاني بأنها قرية كبيرة عامرة فيها قصر متسع يشمل على دور كثيرة وفي وسط هذا القصر حصن. التجاني، رحلة، ص ص٣٠٨–٣٠٩؛ روسي، ليبيا، ص١١٢.

[١٩٥] – التجاني، رحله التجاني، ص ص٣٠٨–٣٠٩؛ عمر، النشاط الثقافي، ص ص٢٣١–٢٣٢.

[١٩٦] – عمر، النشاط الثقافي، ص٢٣٢.

[١٩٧] – أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، 2/٧٠–٧١.

[١٩٨] – وورد النسبة بالجذامي في كل من الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، باعتناء: هلموت ريتر، ط٢، د،م، ١٩٦١م، ٩٧/٣ ؛ الزر كلي، الإعلام، ط٢، د.م، د.ت، ١٠/٧ وغيرهما.

[١٩٩] – الزاوي، تاريخ الفتح، ص١٩٢، ص٢٠٠.

[٢٠٠] – ابن وجيه، المطرب، تحقيق: الابياري وآخرون، القاهرة، ١٩٥٤، ص ص٦٧–٦٩؛ عمر، النشاط الثقافي، ص٢٣٥.

[٢٠١] – ابن وجيه، المطرب، ص ص٦٧–٦٩؛ عمر، النشاط الثقافي، ص٢٣٥.

[٢٠٢] – الزاوي، أعلام ليبيا، ص٢١٤.

[٢٠٣] – المصراتي، أعلام من طرابلس، ص٤٤ وكذلك ص٤٧.

[٢٠٤] – المصدر نفسه، ص٤٤.

[٢٠٥] – المصدر نفسه، ص٤٧.

[٢٠٦] – معجم ،٢٦/٤؛ الزركلي، الأعلام، ١١٣/١.

[٢٠٧] – الحموي، معجم، ٢٦/٤.

[٢٠٨] – مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس الغرب. عنها ينظر: الحموي، معجم، ٢٦/٤.

[٢٠٩] – الحموي، معجم، ٢٠٦/٣؛ عمر، النشاط الثقافي، ص٢٣٦.

[٢١٠] – ينظر: الحموي، معجم، ٢٠٦/٣، ٢٦/٤؛ التجاني، رحلة، ص ص٣٠٨–٣٠٩، وغيرها؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص٢٣، ص٢٠٤.

[٢١١] – مقدمة، ص٣–٤.

[٢١٢] – الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص١٧.

[٢١٣] – كشاف اصطلاح الفنون، ٨٣/١.

[٢١٤] – فرانز روزنثال، علم التاريخ عند العرب، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص١٨.

[٢١٥] – ابن خلدون، مقدمة، ص١٧.

[٢١٦] – أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١٠٥/١؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص١٩٠.

[٢١٧] – أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب، ١١٤/١؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص ص٢٥–٢٦ وكذلك ص١٠٠.

[٢١٨] –أحمد النائب، نعمات النسرين، ص٩٧؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص٢١٢.

[٢١٩] – الحموي ، معجم، ٢٦/٤؛ أحمد النائب، نعمات النسرين، ص٩٧.

[٢٢٠] – أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعه البرقي، وهو من أهالي مصر ولكنه كان كثير التردد على المدن الليبية ومنها برقة وطرابلس لأجل العلم والتجارة. للمزيد ينظر: الحموي، معجم، ٣٨٩/١؛ أحمد النائب، المنهل الصافي، ٧٠/٢–٧١.

[٢٢١] – الزاوي، أعلام ليبيا، ص٤٠.

[٢٢٢] – ابن خلدون، مقدمة، ص٤٩٣.

[٢٢٣] – المصدر نفسه، ص٤٨٧.

[٢٢٤] – القفطي، ابناه الرواة، ١٢١/٢. توفي بعد سنة ٣٦٦هـ.

[٢٢٥] – نسبة إلى جدابيا وهي بين بلاد برقة وطرابلس الغرب. الحموي، معجم، ١٠٠/١؛ الزاوي، معجم البلدان، ص٢٠.

[٢٢٦] – زيادة، نيقولا، محاضرات في تاريخ ليبيا،معهد الدراسات العربية،جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ت، ص٦٠.

[٢٢٧] – محمود، حسن سلمان، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، د.م، ١٩٦١م، ص٢٠١.

[٢٢٨] – يرجع الاهتمام بتنظيم المياه إلى أيام السيطرة الرومانية وذلك من خلال اهتمامهم بالزراعة. سنيتي، محمد بشير، التغيرات الاقتصادية في المغرب إثناء الاحتلال الروماني ودورها في إحداث القرن الرابع الهجري، الجزائر، ١٩٨٤م، ص١٠٤.

[٢٢٩] – موسى، عز الدين أحمد، النشاط الثقافي في المغرب، بيروت، ١٩٨٣م، ص ص٦٠–٦١.

[٢٣٠] – الصهاريج والمواجل عبارة عن أحواض واسعة عميقة تشبه الفسقيات يجمع بها مياه المطر، أو هي عبارة عن سدود تقام أسفل المنحدرات لحجز المياه الجارية على السطح وتوجيهها إلى خزانات واسعة تدعى في بعض الأحيان(مواجن). ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، مادة(صهر)؛ الحموي، معجم،٣٢/٥، الذي يذكر الماجل هي البركة العظيمة التي ستفقع فيها الماء.

[٢٣١] – الجب: وهي نقرة في الأرض يجمع فيها الماء، حفرة يستنفع بها الماء، وهي مخزن واسع من الحجر قطره ٤٠م وعمقه ٢٠م ثم يبنون عند الماء حجرة أو قبوا واسع من الحجر أو الطوب الأحمر أو الأصفر ويملأ بالماء ويستخدمونه في أوقات الأزمات والكوارث. ابن منظور، لسان، ص٣٩٢ مادة (جب)؛ وينظر كذلك الحموي، معجم، ١٠٠/٢.

[٢٣٢] – عبد الوهاب، ورقات، ١٠٠/١.

[٢٣٣] – واكبر وأكثرها سعة جب السفرة في مدينة سوسة ويرجع تاريخ إنشائه إلى العصر الاغلبي والذي يتألف من ست بلاطات تعلو قبوات نصف اسطوانية تفصلها عن بعضها عقود نصف دائرية. Marcais, G. L., Architee Lure Muslmans, Paris, 1954, p.39.

[٢٣٤] – البكري، المغرب، ص٥.

[٢٣٥] – كانت هذه الوسائل مستخدمة منذ مدة قديمة واستمر استخدامها في هذه المدة والفترات اللاحقة. عن ذلك ينظر: موسى، النشاط، ص٦٢ وما بعدها .

[٢٣٦] – ابن البصال، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، كتاب الفلاحة، تحقيق: خولني ماريه ومحمد عزيمان، د.م، ١٩٥٥، ص٥٦ وما بعدها، وكذلك ص١١٢.

[٢٣٧] – المصدر نفسه، ص٥٥.

[٢٣٨] – المصدر نفسه، ص٥٦، ص٦٠، ص٦٢، ص٦٧، ص٧١ .

[٢٣٩] – المغرب، ص٩.

[٢٤٠] –الطوير، محمد أمحمد، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراته، ١٩٩١م، ص٤٨.

[٢٤١] – وهو نوع من أنواع الذرة الصفراء، يزرع عادتا في المناطق الجنوبية، ويعّد من أهم المزروعات الصيفية لأهالي هذه المناطق. الكندي، دراسة، ص٥٨.

[٢٤٢] – الكندي، وفاء كاظم، دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، بغداد، ٢٠٠٥م، ص٥٨.

[٢٤٣] – سورة مريم، أية (٢٥).

[٢٤٤] – أشار اليعقوبي إلى كثرة التمور في ودان لدرجة إن أهالي المدينة كان أكثر عيشهم من التمر. أحمد بن يعقوب، البلدان، بيروت، د.ت، ص٩٨؛ البكري، المغرب، ص١١ .

[٢٤٥] – اشتهرت صبره بكثرة غلات النخيل. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت٣٧٥هـ)، أحسن في معرفة الأقاليم، القاهرة، د.ت، ص٣٢٤ .

[٢٤٦] – تحتوي مدينة سرت على مساحات واسعة من النخيل. البكري، المغرب ، ص٦ .

[٢٤٧] – واشتهرت اجدابيه واؤجلة بنخيل كثير وغلات من التمر عظيمة. البكري، المغرب، ص٦.

[٢٤٨] – كما اشتهرت بسكره بأنواع من التمور إذ اشتهرت بكثرة غابات النخيل وأكثر تمرها يعرف بالكسبا ونوع آخر يعرف باللباري، وتعد منطقة قسطيلية من المناطق المهمة بإنتاج التمر. البكري، المغرب، ص٣٢و ص٤٨ وما بعدها.

[٢٤٩] – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(توفي أواسط القرن السادس الهجري)، الجغرافية، تحقيق: محمد الحاج صادق، دمشق، ١٩٦٨، ص١٠٧.

[٢٥٠] – وكذلك بونه وقابس وتورون وتونس ... الخ.

[٢٥١] – بروشين، تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٨٨م، ص٥٩.

[٢٥٢] – الطوير، تاريخ الزراعة، ص٣٧؛ الكندي، دراسة، ص٤٨.

[٢٥٣] – ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم ومحمد الاسطى، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧٠م، ص٤٠.

[٢٥٤] – الكندي ، دراسة، ص٤٩.

[٢٥٥] – ناجي، تاريخ طرابلس، ص٣٧ .

[٢٥٦] – المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٢٤؛ الزهري، الجغرافية، ص١٥٩؛ الحموي، معجم، ٣٨٩/١.

[٢٥٧] – ناجي، تاريخ طرابلس، ص ص٣٦–٣٧.

[٢٥٨] – الطوير، تاريخ الزراعة، ص٤١.

[٢٥٩] – الكندي، دراسة، ص ص٥٢–٥٣.

[٢٦٠] – موسى، النشاط، ص١٩٨.

[٢٦١] – الحشائشي، محمد بن عثمان، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة، بيروت،١٩٦٥م، ص٢٠٨ .

[٢٦٢] – موسى، تيسير، المجتمع العربي الليبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٨م، ص١٣٢.

[٢٦٣] – الكندي، دراسة، ص٧٦.

[٢٦٤] – المصدر نفسه، ص ص٧٦–٧٧.

[٢٦٥] – كورو، فرانشسكو، ليبيا أثناء الحكم العثماني، ترجمة: خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص١١٤؛ الكندي، دراسة، ص٧٧.

[٢٦٦] – موسى، المجتمع العربي، ص١٣٤ وما بعدها.

[٢٦٧] – كورو، ليبيا، ص١١٤؛ الكندي، دراسة، ص٧٨.

[٢٦٨] – هلال، جميل، دراسات في الواقع الليبي، مكتبة الفكر، طرابلس، ١٩٦٢م، ص١١٢.

[٢٦٩] – ناجي، تاريخ طرابلس، ص٤٦.

[٢٧٠] – Anthony, op.cit, p.156 .

[٢٧١] – مجيدر، عمار، إبعاد نظرية لتاريخ ليبيا الاجتماعي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، العدد ١، طرابلس، ١٩٨٤م، ص٤٧ .

[٢٧٢] – المصدر نفسه، ص٤٧ وما بعدها.

[٢٧٣] – البربار، عقيل محمد، دراسات في تاريخ ليبيا، مالطا، ١٩٨٦م، ص٣٨.

[٢٧٤] – المصدر نفسه، ص٣٩.

[٢٧٥] – المهدوي، محمد مبروك، جغرافية ليبيا البشرية، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع، طرابلس، د.ت، ص١٦٢.

[٢٧٦] – أبو ديب، الصيد، الحياكة والنسيج، مجلة تراث الشعب، العدد ٢، طرابلس، ١٩٩٧م، ص ص٧٨–٧٩.

[٢٧٧] – المسدة: آلة تتألف من قطعتين خشبيتين أفقيتين متوازيتين ترتكزان من كل جنب على قطعة من الحجر والخشب وبين هاتين القطعتين تنصب المسدة التي تركب عليه اللحمة حسب الطلب، موسى، المجتمع،ص١٤٨.

[٢٧٨] – موسى، المجتمع، ص١٥٠ .

[٢٧٩] – الكندي، دراسة، ص٩٤.

[٢٨٠] – وتبلغ أبعاده أربعة أمتار ونصف طولاً ومتراً ونصف المتر عرضاً ويصل وزنه إلى كيلوين غرام. ناجي، تاريخ، ص٥٠؛ الكندي، دراسة، ص٩٤.

[٢٨١] – يصل طولها إلى أربعة أمتار ونصف المتر وعرضها أكثر من متر. ناجي، تاريخ، ص٥٠؛ الكندي، دراسة، ص٩٤.

[٢٨٢] – شلابي، سالم سالم، أوليات بعض الصناعات في ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد ٢، طرابلس ،١٩٩٧، ص ص٦٣–٦٤.

[٢٨٣] – ويبلغ طول رداء القطن ثلاث أمتار تقريبا وبعرض متر ونصف المتر. حامد، سعيد علي، من صناعاتنا التقليدية (النسيج)، مجلة تراث الشعب، العددان ٣–٤، طرابلس، ١٩٩٣، ص٦٣.

[٢٨٤] –وكان طول حولي الحرير ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبا وعرضه متر ونصف المتر ويباع بالوزن. الكندي، دراسة، ص٩٧.

[٢٨٥] –حامد، من صناعاتنا، ص٧٠.

[٢٨٦] – Anthony. G., Cachia, Labya under Secend Ottoman Occupathon, Tripoli, 1945, p143.

[٢٨٧] – Ibid, p124.

[٢٨٨] – بروشين، ن.أ، تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٨م، ص٣٩.

[٢٨٩] – حامد، سعيد علي، النقش والصباغة عبر العصور، مجلة تراث الشعب،العدد ٤، طرابلس، ١٩٩٠، ص ص٩٢–٩٣.

[٢٩٠] –أبو القاسم، عبد الله محمد، الحرف والأصناف في طرابلس الغرب، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ٢٠٠١، ص ص٣٩–٤٠.

[٢٩١] – الكندي، دراسة، ص١٠٣.

[٢٩٢] – بروشين، تاريخ، ص ص٣٩–٤٠.

[٢٩٣] – محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، ص٢٠٤.

[٢٩٤] – الكندي، دراسة، ص١٠٥.

[٢٩٥] – العظم، صادق مؤيد، رحلة في الصحراء الكبرى، ترجمة: عبد الكريم أبو شويرب، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٩٨، ص ص١٠٥–١٠٦.

[٢٩٦]– أبو القاسم محمد بن علي النصيبي(ت٣٦٨هـ)، صورة الأرض، بيروت، د،ت، ص٦٩.

[٢٩٧]– رحلة، ص٢٤٦.

[٢٩٨]– روسي، ليبيا، ص١٣٢.

[٢٩٩]– رحلة، ص٢٦٣.

[٣٠٠]– المغرب، طبعة الجزائر، ١٩١١م، ص١٤.

[٣٠١]– اجدابية: مدينة بين برقة وطرابلس الغرب وهي مدينة كبيرة في الصحراء طيبة الماء. الحموي، معجم، ١/١٠٠–١٠١.

[٣٠٢]– سرت: مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس الغرب. الحموي، معجم، ٣/٢٦–٢٠٧.

[٣٠٣]– البكري، المغرب، طبعة الجزائر، ١٩١١م، ص٢، ص١٠.

[٣٠٤]– المسيلة: مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي سنة٣١٥هـ وهو يومئذ ولي عهد أبيه. الحموي، معجم، ٥/١٣٠.

[٣٠٥]– موسى، النشاط الاقتصادي، ص٣٠٦.

[٣٠٦]– المراكشي، عبد الله بن علي التميمي(ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٣٢.

[٣٠٧]– ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، ليدن، ١٨٨٩م، ص٨٤؛ ابن جعفر(ت٣٣٧هـ)، قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨١م، ص ص١٢٢–١٢٣؛ مؤلف مجهول (من القرن السادس الهجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص١٤٤.

[٣٠٨]– مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٤٤.

[٣٠٩]– ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ص٨٦–٨٧.

[٣١٠]– ابن جعفر، الخراج، ص١٢٢.

[٣١١]– متز، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٦٠م، ٢/٣٥٥.

[٣١٢]– جواتين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة: عطية القوصي، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢١٩.

[٣١٣]– الحسن بن محمد الزياتي(ت٩٥٩هـ)، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن جنين، مراجعة: علي عبد الواحد، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص٧٥.

[٣١٤]– موسى، النشاط الاقتصادي، ص٣٨.

[٣١٥]– الإدريسي، الشريف أبوعبد الله محمد بن عبد الله(ت٥٦٠هـ)، صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشر: دي غوية ودوزي، ليدن، ١٩٦٦م، ص١٨١ وما بعدها.

[٣١٦]- جواتين، دراسات، ص٢١٩.

[٣١٧]- الوزان، وصف أفريقيا، ص ٨٦.

[٣١٨]- فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، وهي مركز تجاري مهم في آخر الصحراء وتقع ومدينتها زويلة السودان وتقع في الطريق الشرقي المار الى السودان الغربي وتبعد عن القاهرة ١٨٠٠كم، وتعد فزان من أهم مراكز التجارة في الصحراء وكان لها الأثر في عمليات تبادل لبضائع الآتية من الشمال أو الجنوب مع جميع مدن السودان التجارية. الحموي، معجم، ٢٦٠/٤؛ فتاح، فوزية يونس، التأثيرات العربية الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٤م، ص١٢٠.

[٣١٩]- بلاد الجريد: في آخر افريقية على طرف الصحراء وفيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، وسميت بهذا الاسم لكثرة النخيل فيها. مجهول، الاستبصار، ص١٥٠.

[٣٢٠]- ومن تلك المناطق ترهونة ورفله ومزده وهون وسوكنه وسبها وفزان وتيغرهي وبيلما وبحيرة تشاد وكوكو. موسى، المجتمع العربي، ص١٦٢.

[٣٢١]- البكري، المغرب، ص١٨٢؛ ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام ادهم ومحمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧٠م، ص٦٥.

[٣٢٢]- غدامس: مدينة في جنوب المغرب ضاربة في بلاد السودان وهي مدينة تجارية مهمة تدخل القوافل التجارة منها إلى تادمكة وغيرها من مدن السودان الغربي وهذا ما جعلها مركزا تجاريا كبيرا ، كما تكمن أهميتها كونها تقع على طريق التجارة الشرقي الذي يربط تونس وطرابلس بمدن السودان والموقع الذي اشتهر بتجارة الذهب. البكري، المغرب، ص١٨٢؛ الحموي، معجم، ١٨٧/٤؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، ص١٤٧.

[٣٢٣]- تادمكة: مدينة كبيرة تقع وسط الصحراء على مدن التجارة شمال جو وتمبكتو وتقع في شعاب وجبال وهي من المحطات التجارية المهمة التي تربط تجارة مصر وافريقية الوسطى بالجزء الغربي من قارة أفريقية. مجهول، الاستبصار، ص٢٢٤.

[٣٢٤]-ابن بطوطة، أبو عبد الله اللواتي الطنجي(ت٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار المعروفة بـ(رحلة ابن بطوطة)، المطبعة البهية، د.ت، ص ص٢٠٦-٢٠٨.

[٣٢٥]- .M., Orano, Tripoli eil Commerciodell Africa centrale, Chietm, 1915, p.103.

[٣٢٦]-. Ibid ,p. 105

[٣٢٧]- ناجي، تاريخ طرابلس، ص٦٤.

[٣٢٨]- الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٢.

[٣٢٩]- المعجب، ص٤٣٢.

[٣٣٠]- متز، الحضارة الإسلامية، ص٣٥٧.

[٣٣١]- ابن جبير، رحلة، ص٢١١، وص٢١٦، وص٢٣٨؛ التطيلي، بنيامين بن بونه، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥م، ص٦٩؛ المقري، نفح الطيب، ٣٨٥/٢، وص٤٨٨.

[٣٣٢]- تنيس: جزيرة ومدينة مصرية بعيدة عن الساحل، وهي مزدحمة بالأسواق، عنها ينظر: ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر(ت٤٣٨هـ)، سفرنامه، ترجمة: يحيى خشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، د.ت، ص٣٨.

[٣٣٣]- ناصر خسرو، سفرنامه، ص٣٨.

[٣٣٤]- الحموي، معجم، ٨٦/٤.

[٣٣٥]- المقريزي، خطط، طبعة القاهرة، ١٩٩٠م، ١٧٧/١.

[٣٣٦]- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي(ت٦٨٥هـ)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص٥٠.

[٣٣٧]- عيذاب: مدينة على ساحل البحر الأحمر، وهو ميناء قديم، ويعود إلى عهد البطالمة أصابه الخمول لقرون عديدة، ولكنه انتعش من جديد بفضل الفاطميين. ناصر خسرو، سفرنامه، ص ص٧٢-٧٣؛ مجهول، الاستبصار، ص٨٧.

[٣٣٨]- المقريزي، خطط، طبعة القاهرة، ١٩٩٠م، ٢٠٢/١.

[٣٣٩]- أحمد، حسن خضيري، علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص١١٨.

[٣٤٠]- الدمشقي، أبو بكر جعفر بن علي، الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٣١٨هـ، ص٤١.

[٣٤١]- أحمد، علاقة الفاطميين، ص١١٩.

[٣٤٢]- المصدر نفسه، ص١٢٠.

[٣٤٣]- جواتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص٢٤١.

[٣٤٤]- البكري، المغرب، ص٥، ص١٥؛ مؤلف مجهول، الاستبصار،ص١٥٤؛ أحمد، علاقة الفاطميين، ص١٢١.

[٣٤٥]- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٦٥.

[٣٤٦]- الغربي، محمد أحمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الرباط، ١٩٦٤م، ص٤٥١.

[٣٤٧]- الوزان، وصف أفريقية، ١٦٩/٢.

[٣٤٨]- جاو: مدينة ضمن إقليم السودان الغربي تمتاز رقعته بمساحات واسعة من سهوب السفانا حيث يتباين فيه ظروف الأرض المناخية، وهي تقع على ثنية نهر النيجر الشرقية. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٥٧؛ Ajoyi, J., F., A History of west Africa, New york, 1917, Vol.1, p.1.

[٣٤٩]- بلاد الملم: قبائل زنجية وثنية تقطن الجنوب من بلاد السودان وبعض مناطق السودان الأوسط وكل قبيلة تتميز عن الأخرى بعلامات. للمزيد ينظر: نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، الموصل، ١٩٨٥م، ص٢٩٨.

[٣٥٠]- دافدسن، باول، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال، أحمد، بيروت، ١٩٥٩م، ص١٨٨.

[٣٥١]- حركات، إبراهيم، دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصور الوسطى، مجلة البحوث التاريخية، العدد ١، طرابلس، ١٩٨١م، ص٣٣.

[٣٥٢]- لويس، القوى البحرية، ص٣٣٠.

[٣٥٣]- وناس، زمان عبيد، التاريخ الحضاري لمدينة جاو، دار الصادق، بابل، ٢٠٠٦م، ص١٧١.

[٣٥٤]- زيادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسقين، الجزائر، د.ت، ص ص٢٢٥-٢٢٦.

[٣٥٥]- الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، منشورات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٢٣.

[٣٥٦]- بوتو، سلفانور، تجارة طرابلس عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العددان ٣-٤، طرابلس، ١٩٩٩م، ص٨٦.

[٣٥٧]- ولد حامد، المختار، حياة موريتانيا (الجغرافيا)، دار المغرب العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٣.

[٣٥٨]- الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٤٥٢.

[٣٥٩]- هناك مشاكل أدت إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وهي انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر والغزوة الهلالية واستيلاء النورمان على صقلية وحروب بني زيري ومنازعاتهم مع جيرانهم وتحول طرق القوافل عبر الصحراء. الطيبي، جوانب من النشاط التجاري، ص ص٤٥٣-٤٥٤؛ Goitein, S. D., Medieval Tunisia the Hub of the Mediterranean In Studies in Islamic History and Institutions Leniden, 1966, pp.308-318.

[٣٦٠]- اللك: بفتح اللام أو كسرها مادة صباغة تعطي لوناً أحمر.

[٣٦١]- ملح النشادر: يستعمل في الدباغة.

[٣٦٢]- ويستعمل كمسّل ومهضّم، وفي الدباغة والصباغة وهو منة الهند.

[٣٦٣]- Kruger, H.C., The Wares of Exchange in the Genoese-African Traffic of the Twelfth Century in Speculuem, Cambridge, Massachusetts, 1937, Vol.8, pp.59-67. ؛ الإدريسي، محمد، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مستخرج من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق: إسماعيل العربي، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م، ص ص٤٥٤-٤٥٥.

[٣٦٤]- بونو، سلفا توري، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وايطاليا، ترجمة: عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية، العدد ١، طرابلس، ١٩٨٦م، ص٣١٢ وص٣١٧.

[٣٦٥]- الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص١٦٦.

[٣٦٦]- شاطبة: مدينة في شرق الأندلس وشرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة وقديمة. الحموي، معجم، ٣/٣٠٩-٣١٠.

[٣٦٧]- طرطوشة: مدينة بالأندلس وهي شرقي بلنسة وقرطبة وهي قريبة من البحر متقنة العمارة. الحموي، معجم، ٤/٣٠-٣١.

[٣٦٨]- دانية: مدينة بالأندلس من إعمال بلنسية على صفة البحر شرقا مرساها عجيب يسمى السمان. الحموي، معجم، ٢/٤٣٤.

[٣٦٩]- الإدريسي، مصدر سابق، ص١٧٨ وص٢٠٠ وص٢٠٢؛ الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي، ص ص٤٥١-٤٥٢.

[٣٧٠]- A. A., Britain, The Sahara, And The Westem, oxford, Clarendon Press, 1964, p.111, p123.

[٣٧١]- بو عزيز، يحيى، طرق القوافل والأسواق في الصحراء الكبرى، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٣م، ص ص١٣٤-١٣٥.

[٣٧٢]- تقع مدينة جاو ضمن إقليم السودان الغربي الذي تمتاز رقعته بمساحات واسعة من سهول السفانا، تتباين فيه ظروف الأرض المناخية. Trimhngham, J.S., Islam in west Africa, ed/2, London, 1976, p.1, A. J. F. A, History of dast Africa, Columdia University, ed/2, New York, 1917, p.10. ؛ أما جنوبها فارض خصبة صالحة للزراعة بتأثير نهر النيجر وفيضانه الذي يدوم ثلاث أشهر. الوزان، وصف إفريقيا، ٢/١٦٩؛ The Encyclpcdia Americana, (Tumbukto),vol. 20, p.746, USA, 1980.

[٣٧٣]- الوزان، الحسن بن محمد الزياتي(ت٩٥٩هـ)، وصف افريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخصر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ٢/١٧٠.

[٣٧٤]- كعت، محروس المتوكل الكرمني التنبكتي، التاريخ الفتاش في إخبار البلاد وأكابر الناس، نشر: هوداس، باريس، ١٩٦٤م، ص ص١٤-١٥.

[٣٧٥]- مؤلف مجهول، الاستبصار، طبعة الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص٦٩.

[٣٧٦]- Mas, Latrie, Relations et Commerce de L'Afrijue septentrionale Ou Magreb avec Les nations chretiennes, Paris, 1886, p.22 ؛ أحمد، علاقة الفاطميين، ص١٠٧.

[٣٧٧]- الكندي، وفاء كاظم، دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م، ص ص١٤٢-١٤٣.

[٣٧٨]- البراوي، حالة مصر، ص٢٥٨.

[٣٧٩]- لويس، القوى البحرية، ص٣٣٠؛ Mas, Latrie, Relations et Commerce, p.23.

[٣٨٠]- المقريزي، خطط، طبعة القاهرة،١٩٩٠م،١/٩٤.

[٣٨١]- المصدر نفسه، طبعة القاهرة،١٩٩٠م،١/٣٣٥.

[٣٨٢]- أحمد، علاقة الفاطميين، ص١١٢.

[٣٨٣]- التطيلي، رحلة، ص١٧٠.

[٣٨٤]- القوصى، عطية، تجارة مصر في البحر الأحمر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٣٣.

[٣٨٥]- المقريزي، خطط، ١/٣٧٨.

[٣٨٦]- ومن السلع المصدرة إلى مصر من مدن المغرب الجلود ويذكر البكري أكثر ذبائح أهل مصر منها وخاصة برقة إذ كانت جلود الكتب وأغلفتها تأتي مصر جاهزة، حيث انتشرت مدابغ الجلود فيها، فضلاً عن ذلك كان يحمل إلى مصر الصوف والعسل وغيرها. للمزيد ينظر: البكري، المغرب، ص ٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩١؛ أحمد، علاقة الفاطميين، ص١٠٩.

[٣٨٧]- الجنحاني، الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ص١١٢.

[٣٨٨]- بونو، العلاقات التجارية، ص٣٢٧.

[٣٨٩]- لويس، القوى البحرية، ص٢٥٣.

[٣٩٠]- المغرب، ص٢٠.

[٣٩١]- صورة الأرض، ص١٣١.

[٣٩٢]- التجاني، رحلة، ص٢٤٥ وكذلك ص١٢٩؛ حامد، سعيد علي، التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ، مجلة التراث الشعبي، السنة ١١، العدد ٤، ١٩٩١-١٩٩٢، ص١٢٤.